وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة يحي فارس المدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

القسم: التاريخ

التخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

حركة التأليف المغربية في بلاد المشرق الإسلامي ومظاهر تأثيرها في الحياة العلميةمن (القرن 3هـ-القرن 9هـ)

مذكرة مقدمة للحصول على شهادة الماسترفي التاريخ تخصص المغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد: بشيرة اعمرستي **إشراف: د. فريدة شيخي**

أعضاء اللجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الرتبة العلمية	الصفة
بغداد سحيري		رئيسا
فريدة شيخي		مشرفا و مقررا
ابوبكر العربي		عضوا مناقشا

السنة الجامعية

1444هـ / 1445 هـ

2023م / 2024م

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة يحيى فارس المدية
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

القسم: التاريخ
التخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

حركة التأليف المغربية في بلاد المشرق الإسلامي

ومظاهر تأثيرها في الحياة العلمية من (القرن 3هـ-القرن 9هـ)

مذكرة مقدمة للحصول على شهادة الماستر في التاريخ تخصص المغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد: بشيرة اعمرستي إشراف: د. فريدة شيخي

أعضاء اللجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
بغداد سحيري		رئيسا
فريدة شيخي		مشرفا ومقررا
ابوبكر العربي		مناقشا

السنة الجامعية
1444هـ / 1445 هـ
2023 / 2024م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اهـــــــــــــداء

اهدي هذا العمل العلمي إلى

الوالدين الكريمين اطال الله عمرهما ورزقني برهما في السر والعلن

الى كل من علمني حرفا ابتداء من معلم الابتدائي الذي كان له الفضل الأكبر على بعد والدي

والى جميع اساتذتي بالمرحلة المتوسطة والثانوية

والى إخوتي وأخواتي ظهري وسندي بهذه الحياة

والى كل مسلم موحد والى إخواننا بفلسطين الحبيبة نسأل الله ان يفرج كربتهم وينصرهم على عدوهم

شكر وعرفان

الشكر موصول الى جميع اساتذتي بجامعة المدية كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

- تحديدا أساتذة قسم التاريخ -

والشكر الخاص جدا للأستاذة المشرفة بارك الله فيها على صبرها معي ورزقها صحة البدن وسلامة القلب.

وشكرا خص الى كل من ساعدني ولو بكلمة طيبة في انجاز هذا العمل المتواضع

وشكر خاص أيضا لأعضاء لجنة المناقشة

قائمة المختصرات

الاختصار	معناه
تر	ترجمة
تح	تحقيق
ت	توفى
ج	جزء
مج	مجلد
د ط	دون طبعة
دت	دون تاريخ
م	ميلادي
ه	هجري
ص	صفحة
ص ص	صفحتان متتاليتان

المقدمـــــــة

مقدمـــــــــــــة:

ساهم العلماء المغاربة في الانتاج العلمي والفكري في بلاد المشرق الإسلامي وخاصة بالحجاز بجوار الحرمين الشريفين وببلاد مصر والشام وغيرها من الامصار الإسلامية ، وكان اكثر الميادين التي برع وساهم المغاربة فيها ميادين العلوم الشرعية من فقه وحديث وتفسير وغيرهم من صنوف العلوم والمعرفة ، وساهم المغاربة أيضا في بلاد المشرق في الذب ونصرة مذهب إمام دار الهجرة الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى ويرجع ذلك باعتبار ان الغالبية الساحقة من سكان المغرب الإسلامي كانت مالكية في الفقه والفروع أشعرية في المعتقد صوفية في التوجه والسلوك والعبادات.

البارز في مؤلفات المغاربة في بلاد المشرق انها في الغالب كانت في العلوم الشرعية، ويرجع ذلك الى اهتمام علماء المغرب الإسلامي الكبير بعلوم الدين، وخاصة ما تعلق بالتعريف لمذهب الامام مالك الذي كان يسود بلاد المغرب كلها والاندلس، ثم علم القراءات الذي كان لعلماء المغرب الإسلامي اليد الطولى فيه، هاجر مجموعات من المغاربة وتوجهت إلى المشرق نتيجة الظروف التي مرت بها والمتمثلة بالاضطرابات السياسية في المغرب والأندلس ، بينما الأمر مختلف في بلاد المشرق حيث توافقت تطلعات القادمين إلى الشرق، في حين تفاعل المغاربة مع المجتمع المشرقي بكل فئاته وأصبح هؤلاء القادمون يعاملون على مبدأ المساواة مع إخوانهم.

كانت بلاد المغرب تعتمد اعتمادا كبيرا على بلدان المشرق، باعتباره الرائد للفكر والمعرفة والثقافة، منذ بداية الدولة العربية الإسلامية ممثلة في الأمويين والعباسيين.

لأجل هذا جاءت فكرة البحث والدراسة في الكتابة في موضوع المؤلفات المغربية ببلاد المشرق ودروها في الحياة العلمية، وتأثير دور الجالية المغربية في العلوم الشرعية واللغة العربية والقراءات، والعلوم العقلية وغيرها.

أ-الاشكالـــــــــــية:

حاولت في موضوعي هذا، إبراز الجانب العام لمؤلفات العلماء المغاربة ببلاد المشرق الإسلامي، في مختلف العلوم العقلية والنقلية وأثرها على المغرب والمشرق الإسلامي على حد السواء، وعلى هذا الأساس طرحت
الإشكالية التالية:

- الى أي مدى كان تأثير العلماء والفقهاء المغاربة في الحركة العلمية والفكرية في بلاد المشرق وماهي أبرز إسهاماتهم في ذلك.

-الى أي مدى كان تأثير العلماء والفقهاء المغاربة واسهاماتهم في الحركة العلمية ببلاد المشرق الإسلامي، وماهي أبرز هذه الاثار والتجليات في مختلف العلوم التي كتبوا وبرعوا فيها.

-كيف استطاع المؤلفون والعلماء المغاربة نشر مختلف علومهم واسهاماتهم الفكرية في بلاد المشرق وكيف استطاع علماء المغرب الإسلامي فرض احترامهم وتقديرهم وما مقدار وقيمة علومهم ومؤلفاتهم العلمية.

- لماذا كان التأثير الأكبر لمؤلفات المغاربة ببلاد المشرق في مجال العلوم الدينية وتحديدا في نشر مذهب الامام مالك واهتمامهم الشديد بعلم القراءات والتجويد دون ان نغفل جهودهم في علوم اللغة العربية (النحو – الشعر .....).

- وما هي أسباب قلة كتابات ومؤلفات المغاربة في العلوم العقلية كالفلسفة وعلم الكلام والجدل وخاصة قبل ظهور دولة الموحدين.

ب- دواعي اختيار الموضوع:

ما دفعنا لاختيار الموضوع الرغبة في الاطلاع ومعرفة ما كتبته العلماء المغاربة من مؤلفات وكتب أثناء رحلاتهم المتعددة الى بلاد المشرق ومجاورتهم للحرمين الشريفين وبيت المقدس وغير من أمصار المشرق الإسلامي، ثم ابراز الاثار العظيمة لهجرات علماء المغرب الإسلامي الى بلاد المشرق وتحديدا علماء المغرب الأوسط ، مع ذكر عوامل استقرارهم بالمشرق ، والكشف عن العلاقات العلمية التي قامت بين علماء العدوتين المغربية والمشرقية وكيف استطاع المغاربة الإفادة والاستفادة من الحركة العلمية التي كان يعرفها المشرق ، وكيف انهم استطاعوا تقلد أسمى وأرقى المناصب العلمية والدينية كالإمامة بالحرمين الشريفين والخطابة وتعليم الأطفال بالمساجد وحتى المناصب السياسية تقلدوها كالقضاء.

ج-أهمية دراسة الموضــوع:

تكمن أهمية دراسة الموضوع في ذكر اسهامات العلماء المغاربة واهم المؤلفات التي زخرت بها حياتهم العلمية ودورهم في نشر العلوم المتعددة ببلاد المشرق مع ابراز الجهود الكبيرة لهؤلاء العلماء في اطلاع المشارقة على ما تراث المغاربة في مختلف العلوم والفنون ، ولقد شهد المغرب و المشرق الإسلامي على حد السواء نهضة علمية وفكرية كبيرة خلال فترات العصر الوسيط وبخاصة زمن قوة العباسيين ببلاد المشرق والموحدين ببلاد الغرب الإسلامي ، وكان للهجرة العلمية الدور الأكبر في تلاقح العلوم والأفكار بين علماء العدوتين ، فكانت استفادة علماء المغرب والاندلس من العلماء المشارقة كبيرة والعكس كذلك.

د-الدراسات السابـــقة:

الدراسات السابقة كانت أغلبها تهتم بإبراز جهود وكتابات العلماء المغاربة في بلاد المشرق في نشر تراث المذهب المالكي وكيف أثر المغاربة في ذلك ، غير أنه لا يمكن انكار جهود الكثير من الباحثين في التعريف بجهود ومؤلفات المغاربة ، ولقد حاولت جاهدة ابراز ولو القليل من تلك الجهود العلمية التي قام بها هؤلاء العلماء الافذاذ حتى تكون نبراسا للأجيال القادمة تستلهم منهم العبرة وتنطلق في فضاءات العلم الفسيحة ولإزالة الكثير من الغبار على كثير من جهود هؤلاء العلماء ، وهي في الحقيقة تحتاج اخلاصا وصدق نية ورغبة في نشر العلم والإفادة والاستفادة منه، ومن هذه الدراسات أذكر:

-**وفيات الاعيان و أنباء أبناء الزمان لابن خلكان** (ت681هـ- 1282م) وهو كتاب مفيد في بابه، موسوعة فريدة، جمع فيه صاحبه تراجم الكثير من العلماء والصلحاء.

- **العلماء الجزائريون في لبلدان العربية لعمار هلال** ، خصص كتابه هذا للتعريف بعلماء الجزائر في البلاد العربية من القديم وحتى العصر الحاضر.

-**معجم اعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر** لعادل نويهض

-**مؤلفات المغاربة في بلاد المشرق وإسهامها في كتابة الموسوعات التراجمية المشرقية في العصر الوسيط (كتاب وفيات الاعيان نموذجا)** مقال للباحثة خديجة طاهر منصور ، جامعة وهران منشور بمجلة روافد للدراسات والأبحاث لعلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية.

وأسال الله العلي العظيم التوفيق والسداد في عملي هذا و أن يجعله في صحيفة أعمالي يوم أن القاه .

هـ-المنهج المتبـــع:

-اتبعت في دراستي لهذا الموضوع المنهج التاريخي الوصفي (السرد مع التحليل) لمناسبته للموضوع المقترح معتمدة على الدقة والتثبت من مصادر المعلومة متجنبة إعطاء احكام مسبقة، ومحاولة جاهدة توظيف المعلومة التاريخية بمنهجية تناسب الموضوع محل الدراسة، محاولة ابراز الأثر الإيجابي لهذه المؤلفات على المشرق والمغرب الإسلامي على حد السواء.

و-الخطة المتبـعة:

للدراسة والاحاطة بهذا الموضوع والاجابة على الإشكالية المطروحة، والاسئلة المتفرعة عنها اعتمدت واتبعت المنهجية التالية:

تناولت الموضوع في مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة جاءت على الشكل التالي:

-**المبحث الأول:** تناولت فيه تعريفا بالمشرق والمغرب الإسلاميين باعتبارهم محور الدراسة معرفة بتاريخهم وجغرافيتهم ومبرزة اهم العوامل التي ساعدت علماء الغرب الإسلامي على التنقل والهجرة الى بلاد المشرق وكيف استطاعت الرحلات العلمية وغيرها في صقل قريحة العلماء المغاربة مما جعلهم يتركون مؤلفات واثارا علمية خالدة ببلاد المشرق.

المبحث الثاني: تعرضت بالدراسة الى اسهامات العلماء المغاربة في مختلف العلوم النقلية كعلم الفقه والقراءان والقراءات والتفسير ..... وغيرها من العلوم الشرعية التي كانت الغالب الاعم على مصنفات ومؤلفات المغاربة بالعدة المشرقية.

المبحث الثالث: تعرضت في هذا المبحث إلى أثار المغاربة في العلوم النقلية والتي لم تكن بحجم المؤلفات والاثار في العلوم النقلية، لقلة المادة العلمية في هذا الباب ولأن غالب ما كان يسود في تلك الفترة هي علوم اللغة والقرءان وغيرها من العلوم الشرعية ، ثم عرجت الى ابراز بعض تأثير مؤلفات المغاربة وكيف استطاع المشارقة الإفادة والاستفادة منها.

أهم المصادروالمراجع المعتمدة:

ولدراسة هذا الموضوع اعتمدت على عدة مراجع ومصادر أذكر أهمها:

- **سلم الوصول الى طبقات الفحول** – لحاجي خليفة -تحقيق أكمل الدين احسان اوغلو وعبد القادر الارناؤوط، طبعة 2010، في هذا الكتاب ترجمة لأكثر من ألفي شخصية من شخصيات العالم الإسلامي مع ذكر طبقتهم، وأهم اثارهم العلمية والدينية والسياسية.

- **الضوء اللامع** وأيضا كتاب **التحفة اللطيفة** للحافظ السخاوي، وفيه تراجم لعلماء المغرب الإسلامي الذين استقر بهم المقام ببلاد المشرق وخاصة بالشام

-**العبرودیوان المبتدأ والخبر في ذكر أيام العرب والعجم والبربرومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** لابن خلدون (ت808)، استفدت منه في ذكر مواطن وقبائل وأصول العلماء المغاربة والاندلسيين ....

- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، للحافظ ابن حجر وفيه جرد لطبقة الحفاظ والفقهاء الذين عاصروا الحافظ.

- **اللباب في تهذيب الانساب** ابن الاثير على ابن الحسن، وهو أيضا كتاب في التراجم والسير، وفيه تراجم للأعلام المغاربة ببلاد المشرق ن مع ذكر أنسابهم وفروع قبائلهم.

– **وفيات الاعيان و انباء أبناء الزمان** لابن خلكان تحقيق احسان عباس ، في الكتاب سرد وجرد للعلماء والحفاظ والاعلام ، وفيه ترجمة لاكثرمن 850 علما، وخاصة أعلام ببلاد الشام من الامراء والعلماء ، زمن العبيدين والأيوبيين والسلاجقة.

- **سير اعلام النبلاء** للحافظ الذهبي استفدت منه كثيرا في تراجم الاعلام وخاصة وأن الكتاب متوفر في خزانتي ورقيا مما ساعدني كثيرا في الرجوع اليه عند الترجمة للأعلام ، وهو كتاب نفيس في بابه لا يستغني عنه طالب العلم.

- **رحلة ابن جبير** -لابن جبير، محمد ابن احمد بن جبير الاندلسي، كتاب رحلة فيه وصف لرحلته وما حصل له فيها من الاحداث والوقائع، وذكر طرف من العلماء الذين التقاهم برحلته هذه.

- **معجم البلدان**، ياقوت الحموي، كتاب يهتم بالأقاليم وذكر مواطن القبائل والشعوب التي استقرت بالمغرب، ويذكر فيه حواضر المغرب والمشرق، واستفدت منه في معرفة مواطن وأماكن القبائل العربية وطرق مواصلاتها ..

- **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة اللطيفة**-. للحافظ السخاوي.

وأما المراجع فاستفدت من:

-**الرحلات المغربية والاندلسية مصدر من مصادر الحجاز في القرنيين السابع والثامن الهجريين**-مكتبة الملك فهد الرياض 1996. للباحثة عواطف محمد يوسف نواف ، وهو في الأصل أطروحة دكتوراة ، تطرقت فيه الباحثة الى اهم الرحالة المغاربة الى بلاد اليمن والحجاز، وابرز أثارهم العلمية.، واعتمدت عليه في التعريف ببعض العلماء الذين رحلوا للحجاز وجاوروا ببيت الله الحرام.

- **الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي**، خالد محسن الجابري .

- **معجم اعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر** – بيروت 1980 عادل نويهض

-**العلماء الجزائريون في البلدان العربية في القرن التاسع والعاشر الميلادي**، عمار هلال.

- **العلماء المغاربة بالمشرق خلال الفترة الموحدية**- هشام صمايري رسالة ماجستير في تاريخ الحضارات المتوسطية اشراف الأستاذ محمد حسن – كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – تونس 2010

م-صعوبات الدراسة

الصعوبات التي اعترضتني في هذه الدراسة يكمن حصرها في مايلي :

- صعوبة الوصول الى المعلومة والمراجع الورقية مما جعلنا نكتفي بالنسخ الالكترونية.

-صعوبة التعامل مع المصادر العلمية القديمة لغة واسلوبا.

- رغم توفر المادة العلمية بشكل الكبير إلا أنه واجهتني صعوبة استخراج المعلومة منها، وأيضا الاختلاف الخاصل بين بعض المصادر في ذكر سنة الميلاد والوفاة لكثير من الاعلام .

- صعوبة في التوفيق بين التدريس في اقسام التعليم المتوسط والدراسة الجامعية.

* وأخيرا وليس أخر لابد من توجيه كلمات الشكر والتقدير للاستاذة المشرفة، على صبرها واصطبارها معي، وعلى الملاحظات القيمة والسديدة التي وجهتها لي والتي لولاها ما استطعت أن أكمل بحثي هذ، فلها مني جميل الشكر والعرفان

المبحث الأول

- الإطار الجغرافي لبلاد المغرب الإسلامي.
- اختلاف الجغرافيين في تحديد الإطار الجغرافي لبلاد المغرب
- التركيبة البشرية والسكانية البشرية بالمغرب الاسلامي
- علماء المغرب الإسلامي وعوامل انتقالهم الى حواضر المشرق الإسلامي

شكل المغرب الإسلامي نقطة وهمزة وصل للحضارة الإسلامية الى أصقاع المعمورة لنشر مختلف العلوم والفنون، خاصة بعد أن عم الإسلام جميع ربوعه، اجتازت قبائل البربر التي دخلت الإسلام البحر المتوسط إلى أوربا ونقلت الإرث الحضاري للإسلام وأسسوا مع اخـوانهم المشـــارقة أكبر دولـــة عرفـها الغـــرب(الاندلس)[1] استمرت لثمانية قرون تقريباً، نقلوا فيها أرثهم الحضاري والثقافي، وإلى يومنا هذا نجد

1- الإطار الجغرافي لبلاد المغرب الإسلامي:

المراد بلفظ المغرب هو كل ما يقابل المشرق من بلاد، أي ما يقع الى غرب عاصمة الدولة العربية الإسلامية. وقد اختلف الجغرافيون والمؤرخون المسلمون في تحديد مدلوله ، فجعله بعضهم يشمل بلاد الشمال الأفريقي زيادةً إلى إسبانيا (الأندلس) بعد فتحها للإسلام ، وجميع الممتلكات الإسلامية في الحوض الغربي للبحر الشامي (البحر المتوسط) مثل صقلية ، وجنوب ايطاليا وجزيرتي سردانيا وكورسيكا والجزائر الشرقية(جزرالبليار)ميورقة[2] ويابسة .

واصطلح أغلب الجغرافيون على تسمية المقاطعة التي تلي حدود مصر الغربية حتى بحر الظلمات (المحيط الأطلسي حالياً) باسم (المغرب العربي)، والتي تشمل ليبيا وتونس والجزائر والمغرب الحالي وموريتانيا[3]. وقد استندت هذه التسمية إلى حقائق اجتماعية واقتصادية وجغرافية، وعوامل تاريخية موغلة في القدم تمخضت عن وحدة الفكر والتراث والهدف والمصير.

هذا وقد عرفت بلاد المغرب العربي منذ أقدم العصور بأسماء متعددة، إذ اطلق العرب الفينيقيون على السكان الذين سكنوا حول مدنهم طاقة (أوتيكا) وقرطاجنة أسم (أفري)[4]. وعنهم أخذها اليونان فأطلقوها على جميع سكان المغرب ابتداءً من غرب مصر حتى بحر الظلمات[5] ومنها أشتق أسم (أفريقية) أي بلاد الأفري. ثم أخذ مدلول هذه اللفظة في الاتساع ، ليتماشى مع اتساع نفوذ الغزاة الرومان حتى شمل بلاد المغرب معظمه

وعندما انطلقت حروب التحرير العربية الإسلامية ووطأت أقدام المسلمين اراضي المغرب أطلقت لفظة (أفريقية) للدلالة على جميع الأقاليم التي مما يلي اقليم طرابلس غربا. وقد كتب والي مصر عمرو بن

---

[1] البلاذري: أحمد بن يحيى(ت279هـ) ،فتوح البلدان، عنى بمراجعتها رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت،1978م،ص227.

[2] مبورقه: جزيرة في شرق الأندلس بالقرب منها جزيرة يقال لها منورقة، كانت قاعدة ملك مجاهد العامري، وينسب لها جماعة من العلماء. ياقوت الحموي، معجم البلدان،5/246.247

3 زغلول: سعد عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، الأسكندرية،1/61.

4 مؤنس: حسين، فتح العرب للمغرب، القاهرة،1947م،ص1.

5 سالم: السيد عبد العزيز، المغرب الكبير، القاهرة،1966م،ج2/125.

العاص كتابا الى الخليفة عمر بن الخطاب ((رضي الله عنه)) بعد تحرير مدينة طرابلس يستأذنه فيه بمواصلة الزحف غربا، وجاء فيه " أنا قد بلغنا طرابلس وبينهما وبين أفريقية تسعة أيام، فأن رأى أمير هذا وقد وضع المؤرخون والجغرافيون مصطلحا جديداً لبلاد المغرب العربي إذ بنى على تقسيمه الى ثلاثة اقسام وهمية ، أي مجرد معلومة يتناقلونها بدون وضع حدود طبيعية إضافية بين تلك الأقسام . وجاء التقسيم بحسب قربها أو بعدها عن عاصمة الدولة العربية الإسلامية أي مركز الخلافة في الشرق.

2-اختلاف الجغر افيين في تحديد الإطار الجغرافي لبلاد المغرب:

اختلف معيار تحديد الإطار الجغرافي لبلاد المغرب الإسلامي، (انظر الملحق 01)، باختلاف نظرة المؤرخين والجغرافيين له، فعند ابن الاثير يعتبر جبل نفوسة وطرابلس الشرق، تمثلان الحدود الشرقية للمغرب خلال القرن السادس هجري [1]وهذه الحدود ليست ثابتة ولا دائمة إذ تتغير بحسب الأوضاع السياسية والإدارية في قابلة للتوسع والتقلص، بحسب القوة والضعف الذي يصاحب مراحل تشكل الدول والمجتمعات.

فيما يذهب البكري في المسالك والممالك على تسمية الشمال الافريقي ب " إفريقية" فهو يعرف المغرب على أساس الأوضاع الإدارية والجغرافية، إذ يقول " أنه بعدما بسط المرابطون وسلطانهم من تلمسان والصحراء الافريقية الى جبال الاندلس، ظهر تعريف جديد للمغرب يقتصر على أراضي المرابطين[2]، فيما ذهب أخرون الى اعتبار كلمة المغرب ، انها تعرف البلاد الواقعة غرب مصر ، وظهر ذلك بشكل واضح بعد اكتمال ونضج علم الجغرافيا، وصارت بلاد المغرب لا تشمل مصر والاندلس.

قسم الاصطخري المغرب الإسلامي على أساس الأوضاع الإدارية والظروف السياسية[3] الى مغرب إفريقي ومغرب أندلسي، وبهذا الاعتبار تخرد بلاد الاندلس من نطاق المغرب الإسلامي وهذا ما ظهر وشهدت له الظروف السياسية والإدارية زمن المرابطين[4].

والقيروان والمهديّة الى أرض طنجة وازيلى ورسمت على بحره مدنه الساحليّة وشكّلت طرقه الى جميع أنحائها وكيفيّتها مغرّبة ومشرّقة فى سائر جهاتها، ثمّ ذكرت مصر فى شكلين حسب ما جرى رسم المغرب به ولطول العمل أعربت فيهما عن حال مدنها ومواقعها على المياه الجارية فى أرضها وما كان برسمها فى البعد عن المياه[5]

1 عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، دار الشروق بيروت، القاهرة ،1403ه، ص38

2 عز الدين موسى، المصدر نفسه، ص 44.

3 سعد زغلول عبد الحميد تاريخ المغرب العربي من الفتح الى عصر الاستقلال، ج1، ص 63

4 نفس المرجع، ص53.

[5] محمد بن حوقل البغدادي، صورة الأرض ، دار صادر ، ليدن ، 1938،ج2، ص16.

وأمّا المغرب فبعضه ممتدّ على بحر المغرب فى غربيّه ولهذا ، البحر جانبان شرقيّ وغربيّ وهما جميعا عامران، [وأمّا الغربيّ فمن مصر وبرقة الى افريقية وناحية تنس الى سبتة وطنجة فللعرب خاصّة وأزيلي وما فى أضعاف هذا الإقليم، وأمّا الشرقيّ فهو بلد الروم من حدود الثغور الشامية الى القسطنطينيّة الى نواحي رومية وقلورية والانكليز والافرنجة وجليقية ثمّ باقي ذلك الى آخره للعرب فى يد أصحاب الاندلس[1].

ومن المعاصرين ذهب المؤرخ المصري حسين مؤنس الى اعتبار بلاد المغرب قطرا واحد، يحتل ساحل البحر الأبيض المتوسط كله، وصولا الى المحيط الأطلسي، فهو عنده وحدة جغرافية مترامية الأطراف ووحدة وبشرية باعتبار غالب سكانه شعب واحد وهم الامازيغ (البربر)[2].

أما غالبية الجغرافيين والمؤلفين العرب فيلحقون بلاد مصر بالمشرق العربي، ويبدأ تحديد المجال الجغرافي لبلاد المغرب الإسلامي عندهم من مدينة وإقليم برقة (بنغازي الحالية)[3]، وعلى أي حال فان الخلاف حاصل بين من يدخل مصر في بلاد المغرب وبين من يجعلها من المشرق الإسلامي.

3-كيف تشكلت التركيبة البشرية والسكانية البشرية بالغرب الإسلامي:

كما هو معلوم يتكون البربر من قسمين عظيمين هما: البتر والبرانس، ولا يعرف مصدر هذا التقسيم، ومن أهم قبائل ألبرت زناتة ولواتة ومغراوة ومديونة، أما قبائل البرنس فهي صنهاجة، وأوربة ومصمودة كتامة، لكن أكثر هذه القبائل أهمية في تاريخ المغرب هي زناتة من البتر وصنهاجة من البرنس، وعلى العموم يعتبر البتر أكثر السكان انتشارا في الغرب الإسلامي، ومصمودة من البرانس، من حيث العدد، وهم يسكنون مجالين كبيرين:

3 -1-مجال المغرب الأدنى الأوسط

في هذا المجال كانت تستوطن قبائل صنهاجة الشمال التي افترق ملكها إلى دولتين: دولة منصور بن بلكين أصحاب القيروان، ودولة حماد بن بلكين أصحاب القلعة[4]، وتجدر الإشارة الى انه من هذا المجال انطلقت انطلقت قبائل بنو غانية الصنهاجية في القرن السادس الهجري، ضد الموحدين كما عرفت المنطقة أيضا في تاريخها مع بني هلال، الذي اكتسح بواديها، عندها لجأت القبائل البربرية إلى السواحل وإلى المناطق الجبلية الحصينة في بلاد الحماديين، الى جانب قبائل صنهاجة كان هذا المجال أيضا يضم قبائل بربرية أخرى وهي قبائل

[1] بن حوقل، المصدر السابق، ص 60.

[2] ياقوت الحموي معجم البلدان 2، دار صادر، بيروت ،1995، ج 1، ص68.

[3] المصدر نفسه، ص73

[4] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، المكتبة العلمية، د ت، بيروت، ج 3، ص 123.

زناتة التي تأثرت هي الأخرى، بالغزو الهلالي إلى حين وصول الموحدين إلى المنطقة فتحالفت معهم بعض بطونهم كابن باديس، وبين عبد الواد وبين توجيل ضد بني مرين الذين لم يجدوا بدا من الاتجاه جنوبا حتى أصبحت ديارهم في النصف الثاني من القرن السادس الهجري بين قبلة الزاب وسجلماسة[1].

2-3 مجال المغرب الأقصى والصحراء:

من ضمن القبائل التي كانت تستوطن هذا المجال، قبائل غمارة التي تنتسب إلى مصمودة، مجاورة لذلك قبائل صنهاجة بنفس المنطقة[2] والتي استقرت في الجزء الغربي من جبال الريف،، كما استوطن قسم آخر من صنهاجة بالأطلس المتوسط وساحل المحيط الأطلسي، بينما نزلت برغواطة التي تنتسب هي الأخرى إلى المصامدة[3] ، أمافي أقصى الجنوب فنجد قبائل صنهاجة الجنوب المعروفين بالملثمين والذين يؤلفون، مجموعات متعددة من القبائل التي تكونت منها دولة المرابطين، فقد استوطنوا في الصحراء جنوبا، وعنهم يقول ابن خلدون: "هذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون المواطنون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب[4]

3-3العنصر العربي

وجد العرب في مدن الغرب الإسلامي مع الفتح الإسلامي دون البوادي، وتضاعف عددهم في عهد الخلافة الاموية عندما حاول الامويون قمع ثورات البربر ونشر الإسلام، ولم يتمكن العرب من تغيري تركيب سكان المغرب وارياقه إلا بعد منتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي عندما أرسل الفاطميون قبائل بني سليم للانتقام من الدو لة الزيرية الصنهاجية في إفريقية، وقد اقتسمت هذه القبائل بلاد إفريقية، زغبة ورياح في برقة وطرابلس، كما استقر بنو هلال في تونس وما يليها غربا فكان لسليم الشرق وهلال الغرب.

وقد استعصت الجبال على العرب الهلاليين، فاستقروا في الساحل التونسي وبلاد الجريد وببسائط تل الأطلس الشرقي في قسنطينة والقل وفي خراج باجة وميلة.

بعد تمكن عرب بني هلال من القضاء على ملك بني زيري بافريقية وهددوا الدولة الحمادية ، تطلعوا للمغرب الأوسط، غير انهم اصطدموا بدولة المرابطين الذين جنبوا البلاد الوقوع تحت سيطرتهم الى حين ، ولم يتم للهلاليين الانتشار بكامل بلاد المغرب الا بعد قيام دولة الموحدين، حيث عمل الموحدون ، على نقل بطون

[1] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 87.

[2] المصدر نفسه، ص 89

[3] الحموي، المصدر السابق، ص 36

[4] الحموي، نفسه، ص 37.

من من هذه القبائل الى المغرب الأقصى، لحرب بنو غانية[1] الذين تمردوا على سلطان الموحدين، وهذه الطريقة استطاع السلطان الموحدي من مراقبة هؤلاء العرب الهلاليين، والاستفادة منهم عسكريا واقتصاديا، لكن هذه الخطة انطوت على مخاطر، خاصة وان تمرد بني غانية لم ينتهي بهذه المكيدة ن ثم ان تواجد وتمكن الهلاليين داخل سلطة الموحدين، ينم عن خطر داهم يواجه الدولة ، فقد زرعوا الفوضى في مناطق تواجدهم ، واغاروا على كثير من مدن الموحدين كمراكش ، اما قبائل زغبة ورياح[2] فقد حافظوا على ولائهم لسلطة الموحدين ، فقد صاروا مع بني باديس يدا واحدة لحماية المغرب الأوسط من بني غانية.

اما عرب بني معقل الذين جاءوا رفقة الهلاليين بسبب قلة عددهم فقد نزلوا صحراء المغرب الأقصى[3] وانقسموا الي ثلاثة بطون وهي : بنو عبيد الله وموطنهم بين تلمسان الى تاوريرت، بني منصور من بلاد تاوريرت الى منطقة درعة وما يجاورها، وبني حسان وموطنهم من درعة الى البحر المحيط وملكوا بلاد السوس الأقصى[4].

4-الإطار الجغرافي للمشرق الإسلامي:

4-1-بلاد مصر

أصبحت مصر ولاية من ولايات الخلافة الإسلامية، يحكمها ولاة يبعثهم الخلفاء من المدينة أو دمشق أو بغداد، وأصبح الإسلام دين الأغلبية في وادي النيل منذ نهاية القرن الثالث الهجري (9م)، وظل الولاة يحكمون مصر من قبل الخلفاء إلى أن استطاع أحمد بن طولون[5] أن ينشئ فيها سنة 254هـ/868م دولة مستقلة عن الخلافة العباسية إلى حد كبير.

والمعروف أن سنة جديدة بدأت في حكم بعض الأقاليم التابعة للخلافة حين عظم نفوذ الجند من الترك في البلاط العباسي؛ إذ بدأ الخلفاء يقطعون تلك الأقاليم أولياء عهدهم، ثم بعض قواد الجند. وطبيعي أن هؤلاء القواد الترك كانوا يؤثرون البقاء في عاصمة الخلافة خشية أن تدبر الدسائس ضدهم، وكان الخليفة نفسه يرحب ببقائهم في العاصمة مخافة أن يستقلوا بما يولونه من الأقاليم، فكان هؤلاء لا يحكمون بأنفسهم بل يوفدون إلى الأقاليم نوابًا عنهم، ويتلقون منهم ما يتبقى من الجزية والخراج بعد دفع نفقات الإدارة، فيدفعون إلى

1 عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق ، ص22- 27

2 ابن خلدون، المصدر نفسه، ص 58

3 مجهول ، الاستبصار، ص 187.

4 ابن خلدونن المصدر السابق، ص 77

5 ولد بسامراء ، وقيل : بل تبناه الأمير طولون . وطولون قدمه صاحب ما وراء النهر إلى المأمون ، في عدة مماليك ، سنة مائتين ، فعاش طولون إلى سنة أربعين ومائتين فأجاد ابنه أحمد حفظ القرآن ، وطلب العلم ، وتنقلت به الأحوال ، وتأمر ، وولي ثغور الشام ، ثم إمرة دمشق ، ثم ولي الديار المصرية في سنة أربع وخمسين ، وله إذ ذاك أربعون سنة. انظر الذهبي ،سير اعلام النبلاء ج 13 ص 94

بيت مال الخلافة جزءًا منه. وبدأ هذا النظام في مصر منذ سنة 219هـ/834م، وبقي إلى أن وفد أحمد بن طولون إلى مصر نائبًا عن واليها القائد التركي.

وأدرك ابن طولون أن في استطاعته الاستقلال بشئون مصر، فقد كانت حكومة العراق قد تطرق إليها الضعف، كما قام الزنج[1] في إقليم البصرة بثورة خطيرة، وظل القتال بينهم وبين جند الخليفة نحو أربعة عشر عامًا، وقامت ثورات إقليمية أخرى في بعض أنحاء الدولة الإسلامية. وكان صاحب الأمر والنهي في الخلافة هو الموفق أخو الخليفة المعتمد الذي لم يكن له من الأمر شيء، وطبيعي أن أعباء الحكم ونفقات الجيش كانت تتطلب الأموال الطائلة؛ فكان الموفق يلح في طلب المساعدة المالية من ابن طولون، ولكن حاكم مصر لم يقدم ما كان ينتظره نائب الخليفة فدب الخلاف بينهما، وكان هذا إيذانًا بعصيان ابن طولون واستقلاله بمصر. ولم يعد دخل مصر يتسرب إلى بيت مال الخلافة في المدينة أو دمشق أو بغداد، أو إلى جيوب الولاة وأصحاب الإقطاع، بل بقيت أموال مصر فيها، وبدأ وادي النيل حياته لنفسه في مجموعة الأمم الإسلامية.

وأفادت مصر من حكم الأسرة الطولونية وساد فيها رخاء نسبي، وأصبحت تخشاها الدولة العباسية، ويخطب البيزنطيون ودها بإرسال الهدايا النفيسة، وإطلاق الأسرى المسلمين، واستطاع ابن طولون فتح سورية، وأصبحت مصر مستقلة للمرة الأولى بعد عصر البطالسة[2]، وعاد إليها سلطانها على الشام للمرة الأولى بعد عصر الفراعنة.

أما الفاطميون، فقد كانوا منذ استقرارهم في إفريقية يتحدون العباسيين، ولا يعترفون لهم بالخلافة أو الرئاسة الدينية والسياسية، بل يرونها من حقهم، وهم نسل فاطمة وعلي بن أبي طالب. وكانوا غير قانعين بإفريقية، فعملوا على الاستيلاء على مصر لخيراتها الواسعة، وموقعها الجغرافي، وليستطيعوا فيها أن يوسعوا نطاق دعوتهم، ويمدوا نفوذ خلافتهم الشيعية.

على أن انتقال الفاطميين إلى مصر أطلق يد عمالهم في شمالي إفريقية، فلم يلبثوا أن استقلوا تمامًا عن الإمبراطورية، وأسسوا أسرة بني زيري في تونس، وبني حماد في الجزائر. ولكن الإمبراطورية الفاطمية كانت قد بلغت أوج عزها في عصر العزيز، حين كان يدعى له في خطبة الجمعة بالمساجد الواقعة بين البحر الأحمر والمحيط الأطلسي، وفي سورية والحجاز واليمن، وحين كان نفوذه يمتد إلى كل هذه الأصقاع، حتى تضاءلت

[1] الزنج جيل من السودان يتميز بالجلد الأسود والشعر الجعد والشفة الغليظة والانف الأفطس ، يسكنون حول خط الاستواء ، تمتد بلادهم من المغرب الى الحبشة وبعض بلادهم على نهر النيل (انظر معجم المعاني الجامع ، ابن العميد الهمذاني ، ج 3 ص 55).

[2] البطالسة (البطالمة) هم من أصول مقدونية نزحت الى مصر بعد وفاة الاسكندر الأكبر سنة 323 ق م حيث تولى جيش الاسكندر الأكبر وهو بطليموس حكم مصر وبنى الإسكندرية (انظر اتحاف أبناء مصر بتاريخ ملوك مصر للدكتور امين واصف).

الخلافة العباسية إلى جانب خلافة الفواطم، ثم بدأ الضعف يدب إلى الدولة الفاطمية على يد الخلفاء الضعفاء الذين تقلدوا أزمة الحكم بعد العزيز، وانتقل السلطان إلى يد الوزراء تدريجيًّا، حتى أتيح للوزير الفاطمي منذ سنة 531هـ/1136م أن يتخذ لنفسه لقب «ملك»، مثل: الملك الأفضل رضوان، والملك الصالح طلائع، والملك المنصور ضرغام[1]. وزاد الطين بلة أن الفوضى عمت بين الجند، وتفاقم التطاحن بين أجناسهم المختلفة، ومنيت البلاد بالمنافسة بين الوزراء، ونسي كل منهم أمور البلاد ونفعها في سبيل نفعه الخاص؛ فكان ذلك كله سببًا في سقوط الفاطميين، ولا سيما حين قوي ساعد الصليبيين، وتطلعوا إلى فتح مصر، وعمل نور الدين[2] صاحب الموصل على منعهم من ذلك حين طلب إليه بعض وزراء مصر مساعدته على وزراء آخرين. وصفوة القول أن الصليبيين ونور الدين سيَّروا الحملات العسكرية إلى وادي النيل، وتنافسوا في توطيد مركزهم فيه إلى أن استطاع شيركوه قائد جيش نور الدين أن يقتل الوزير المصري شاور، وأن يحتل مصر، ويتولى منصب الوزارة فيها سنة 564هـ/1169م، ولكنه مات بعد ثلاثة أشهر، وخلفه ابن أخيه صلاح الدين، فقضى على الدولة الفاطمية، ونفذ ما أراده مولاه نور الدين فأحل اسم الخليفة العباسي المستضيء محل الخليفة الفاطمي العاضد في خطبة الجمعة، وكان الأخير على فراش الموت، وتوفي قبل أن يعرف هذا التغيير الخطير. وأسندت المناصب الدينية إلى فقهاء المذهب السني، وعادت مصر إلى هذا المذهب، ولم تكن ثمت مقاومة حتى تمت هذه العودة.

4-2-بلاد الشام

بلاد الشام (Levant) أو بلاد المشرق إلى الكلمة الفرنسيةlever) والتي تُشير إلى شروق الشمس كدلالة على جهة الشرق، أمّا كمصطلحٍ جغرافيّ فتُشير بلاد الشام إلى الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسّط، والـــجزر المجاورة له[3]،وتقع بلاد الشام في قارة آسيا، وتحديداً في وسط المنطقة الغربية منها، وتمثّل الجزء الغربي والأوســط من منطقة الهلال الخصيب، وتشمل كلّاً من الأردن، وفلسطين، ولبنان، وسوريا.

---

[1] المنصور ضرغام هو ضرغام بن عامر بن سوار الملك المنصور فارس المسلمين أبو الأشبال اللخمي المنذري الذي استولى على الديار المصرية ، قتل في جمادى الثانية (559هـ – 1287م) عند قبر السيدة نفيسة وقد طيف براسه واكلتها الكلاب (انظر كتاب الوافي بالوفيات دار احياء التراث ، بيروت ، ط 1، ج 16، ص 80

2 -نور الدين صاحب الشام ، الملك العادل نور الدين ناصر امير المؤمنين تقي الملوك ليث الإسلام أبو القاسم محمود بن الاتابك قسيم الدولة ابي سعيد زنكي ولد في شوال سنة احدى عشرة وخمسمائة ولي جده نيابة حلب للسلطان ملكشاه بن الب بن أرسلان ونشا بالعراق وتولى امارة الموصل والبلاد الشامية وكان شهما كريما شجاعا، حمل راية العدل والجهاد قل ان ترى العيون مثله وتملك دمشق ، وافتتح حصونا كثيرة وهزم صاحب انطاكية ، بنى المدارس بحلب وحمص ودمشق وله محامد كثيرة جدا قال فيه الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي جاهد وانتزع من الكفار نيفا وخمسين مدينة وحصنا وبنى بالموصل المسجد الجامع ..... وله مأثر كثيرة جدا انظر الذهبي سير اعلام النبلاء الطبقة العشرون الجزء 20 ص 532.

[3] ممدوح الخرابشة (8-2002)، استقرار القبائل العربية في بلاد الشام قبل الفتح الإسلامي القرن 3-7 ميلادي، الأردن: الجامعة الأردنية، صفحة 5، 6

بلاد الشام[1] مصطلح قديم ورد في كثير من المصادر التاريخية والبلدانية، وهو يطلق على المنطقة الجغرافية المتمثلة بـ(سوريا والأردن وفلسطين ولبنان)، وقد تباين الجغرافيون والمؤرخون حول إطلاقهم تسمية محددة وثابتة عن الرقعة الجغرافية، فمنهم من أطلق لفظة الشام مجردة من أية إضافة ومنهم من أطلق لفظة (أرض الشام) للدلالة على الأرض، في حين أطلق آخر عليها (إقليم الشام))

أما حدودها فهي محاطة من جهة الغرب ببحر الغرب (البحر المتوسط) من طرسوس إلى رفح التي في الحدود بين مصر والشام، ويحيط بها من جهة الشرق حد يمتد من البلقاء،إلى مشاريق صرخد، إلى حلب إلى بالبيس[2]، أما من جهة الشمال فتحيط بها من بالبيس مع الفرات إلى قلعة نجم،إلى البيرة، فقلعة الروم.

كان لبلاد الشام الدور الكبير في التجارة بين الدول خلال فترة العصور الوسطى، ممّا جعلها من أكبر مراكز التجارة في العالم، إذ كانت تستورد السلع النادرة والغريبة[3] من جميع المناطق، وتُزوّد بها أسواقها بكميات كبيرة، وهذا بدوره شجّع التجار لزيارتها من كلِّ مكان من أجل الحصول على هذه السلع، وقد بدأت النشاطات التجارية في بلاد الشام في الفترة الواقعة بين القرنين الرابع والخامس عشر الميلاديين، إذ كان النشاط مبنيّاً على استيراد الصابون، والملابس، والأقمشة، وغيرها من مدينتي البندقية وجنوة[4]، إلى جانب التصدير الذي اعتمد على الحبوب، والقطن، والتوابل، وبالرغم من كلّ ما واجهته بلاد الشام، إلّا أنّها احتفظت بمكانتها التجارية والعلمية الهامّة خلال فترة القرن الثامن عشر الميلادي وما بعدها، يوجد العديد من العوامل التي ساهمت في نموّ وازدهار النشاط التجاري في بلاد الشام، وفيما يأتي بعض من هذه العوامل، الموقع الجغرافي الاستراتيجي الذي تتمتّع به مناطق بلاد الشام. شيوع الأمن والأمان. تشجيع بلاد الشام للتجارة بشكلٍ مباشرٍ وغير مباشرٍ، الحاجة المتزايدة لدى خلفاء وكبار رجال بلاد الشام للسلع الأجنبية، ممّا أدّى بدوره إلى زيادة الطلب عليها. وجود العديد من الأسواق والموانئ التجارية، ممّا كان له دور إيجابيّ في تعزيز حركة النشاط التجاريّ والتبادل العلمي الخارجي والداخلي بين بلاد الشام والدول الأخرى..

1 - سميت بذلك لشامات في أرضها بيض وسود ، الأنصاري ، شمس الدين بن عبد الله، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، كوبنهاكن،1965م، ص193؛ الحميري ، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، لبنان،1975م ، ص335.

2 باليس: بلدة في الشام بين حلب والرقة على الضفة الغربية لنهر الفرات ، الحموي ، معجم البلدان، 328/1

3 الاصطخري، المسالك، ص55-56؛ زيادة،نيقولا، جغرافية الشام عند جغرافي القرن الرابع الهجري، الموتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام، الأردن، 1974، ص ص147-156 .

4 جاسر العناني (2012)، فتح صلاح الدين الأيوبي لبيت المقدس بين السياسة والحرب (الطبعة الأولى)، عمّان: أمواج للنشر والتوزيع، صفحة 51.

3-4-بلاد الحجاز[1]

قبل مجيء الإسلام إلى بلاد الحجاز كان لأهل الحجاز دياناتٌ متعدّدةٌ إلّا أنّهم كانوا في غالبيّتهم وثنيين، وقد كانوا يحجّون البيت ويمارسون طقوس العبادة من سعيٍ وإحرامٍ وطواف، وقد كان لبلاد الحجاز قبل الإسلام أهميّةٌ اقتصاديّة حيث تعتبر الحجاز جسراً بين البحر الأبيض المتوسط وبلاد الشّام من جهة، ومن جهة أخرى بين المحيط الهندي واليمن، وللحجاز أهميّة اقتصاديّة ففيها الطّريق البري الواصل بين شمال شبه الجزيرة العربيّة وجنوبها[2] ومن هذا الطّريق تتفرع طرق تجاريّة نحو الشّمال الشّرقي والشّرق، ولأهميّتها حاول الرّومان واليونان السّيطرة عليها إلّا أنّهم لم يُفلحوا في ذلك، كما حاول أبرهة الأشرم السّيطرة على مكة وقاد جيشه عام 570 للهجرة نحوها إلّا أنّه لم يفلح في ذلك

تتعدد المناطق الجغرافية في الحجاز، فمنها الساحلية، والجبلية، والصحراوية، حيث تعتبر منطقة تهامة من المناطق الساحلية المطلة على البحر الأحمر، ويُذكر أنّ الحجاز تسمّى أيضًا باسم الحبس والحجز للدلالة على الحاجز الجبلي بين الريف والبحر، تعدّ المناطق الجبلية من المناطق المميزة في منطقة الحجاز، مثل مدينة الطائف،حيث تمتد المناطق الجبلية ما بين 2100-2400 م، وتصل أعلى قمة فيها إلى ما يقارب 3000 ويذكر أنّ المدينة المنورة تقع على وادٍ بركاني محاط بالصحراء والجبال من جميع الجهات، وتتميز المدينة المنورة أيضًا بكثرة الينابيع والآبار فيها التي تجعلها منطقة مناسبة للزراعة.

4-4 بلاد العراق:

ظهر الإسلام والعرب متفرقون ومتفككون سياسيًا واجتماعيًا، وأجزاء كبيرة من أرضهم تحت الاحتلال؛ فقد بسط البيزنطيون نفوذهم على بلاد الشام ومصر والمغرب، بينما بسط الفرس نفوذهم على العراق واليمن، وتمتعوا بنفوذ سياسي واقتصادي في الخليج العربي،وقرر الخليفة عمر كذلك إرسال الصحابي سعد بن أبي وقاص[3] إلى العراق ضد الفرس، فانتصر عليهم في موقعة القادسية[1] الشهيرة بؤازره المُثَنَّى بن حارثة الشيباني[2].

---

1 الحجاز جغرافيّاً هي الإقليم الفاصل بين تهامة ونجد، أما لغويّاً فلها العديد من الدلالات والمعاني، فمصدر كلمة الحجاز هي كلمة حاجز بمعنى فاصل بين شيئين، وكلمة الحجاز عند الرجال والنساء تأتي على معنى ما يشدُّ به الوسط لتشّمر الثياب، كما أنّ كلمة الحجاز تُطلق على عِقال الدابة، وهي أيضاً نوع من ألحان الموسيقى. سميّت جبال الحجاز بهذا الاسم لأنها تعد حاجزاً فاصلاً يفصل إقليم تهامة عن إقليم نجد، فقد جاء في سبب تسميتها أنّها فصلت بين أغوار تهامة عن اليمن أو ما تعرف بمنطقة نجد، حيث تعتبر جبال الحجاز واحدة من أهم أقاليم شبه الجزيرة العربية، فهي عبارة عن سلسلة جبال ممتدة على طول ساحل البحر الأحمر في الجانب الغربي من شبه الجزيرة العربية.

2 الحموي، معجم البلدان،401/3.

3 شهِد المشاهد كلَّها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد بدرًا وأُحُدًا والخندق، وغيرها من معارك المسلمين الفاصلة، أسلم وعمرُه لم يتجاوز قال عنه الذَّهبيُّ: "الأمير أبو إسحاق سعد بن أبي وقَّاص، واسم أبي وقَّاص: مالك بن أُهَيْب القرشي الزُّهْري المكّي، وله قرابةٌ من النبيِّ صلى الله عليه وسلم فهو من بني زُهْرَة، وأم النبيِّ صلى الله عليه وسلم آمِنة بنت وهبٍ زُهريَّة، وهي ابنة عمِّ أبي وقَّاص(انظر الذهبي ، سير اعلام النبلاء ،ج1، ص256

وكان ذلك يوم 6 محرم 15هـ، 19 فبراير 636م. وهكذا أنهت معركة القادسية السيادة الفارسية في العراق. كما تابع المسلمون ملاحقة الفرس في بلادهم فدخلوا المدائن ونهاوند بعد معركة فاصلة، هزم فيها الفرس.

شيد عمر بن الخطاب مدينتي البصرة والكوفة، واستمرت العراق تدار من قبل الولاة الذين يعينون من قبل الخلفاء في المدينة حتى قبيل مقتل الخليفة الرابع علي بن أبي طالب، إذ كان على ولاية الموصل في سنة 656م/ 36هـ واليان، أحدهما من قبل علي وهو الأشتر مالك بن الحارث النخعي[3]، وثانيهما من قبل معاوية وهو الضحاك بن قيس. انظر الملحق (02).

5-الحركة الفكرية وموقف الإسلام من العلم

عمل الإسلام بالنص القرآني والسنة على تنقية الحياة الفكرية العربية من عوامل التخلف والخرافة، وأخذ يدعو إلى استخدام العقل والحواس للتأمل في مظاهر الكون والحياة، كما حثهم على التعلم المنظم والقراءة.

وقد نشطت الحركة الفكرية في البصرة والكوفة، فقد نزل عدد كبير من الصحابة، من أبرزهم عبد الله بن مسعود وعلقمة والأسود والحارث بن قيس وسعيد بن جبير وغيرهم في الكوفة. أما البصرة فقد ضمت أبا موسى الأشعري وأنس بن مالك والحسن البصري[4]. وقد برز أهل العراق في اللغة والنحو، وظهر فيه مذهبا الكوفة والبصرة في النحو. وقد اتسم النشاط الفكري في العراق بطابع الإعلاء من شأن العقل والرأي، ولذا فقد عرفت المدرسة الفقهية التي ظهرت في العراق باسم مدرسة الرأي.

---

[1] .....فخرج المثنى حتى نزل بذي قار ونزل الناس بالطف في عسكر واحد. ولما وصل كتاب المثنى إلى عمر قال: والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب! فلم يدع رئيسا، ولا ذا رأي، وذا شرف، وبسطة ولا خطيبا، ولا شاعرا إلا رماهم به.،(انظر الكامل في التاريخ -ابن الأثير - ج ٢ - الصفحة 448).

[2] المثنى بن حارثة بن سلمة الشيباني: صحابي فاتح، من كبار القادة. أسلم سنة 9 وغزا بلاد الفرس في أيام أبي بكر، فتناقل الناس أخباره، فسأل أبو بكر: من هذا الّذي تأتينا وقائعه قبل معرفة نسبه؟ فقال قيس بن عاصم: أما إنه غير خامل الذكر، ولا مجهول النسب، ولا قليل العدد، ولا ذليل الغارة، ذلك المثنى ابن حارثة الشيبانيّ (انظر ابن الاثير المصدر السابق الجزء 2 ص 241).

[3] ملك العرب ، مالك بن الحارث النخعي ، أحد الأشراف والأبطال المذكورين. حدث عن: عمر، وخالد بن الوليد، وفقئت عينه يوم اليرموك. وكان شهما، مطاعا، زَعِرًا، ألَّب على عثمان، وقاتله ، وكان ذا فصاحة وبلاغة " انتهى من "سير أعلام النبلاء" ج 4،ص34

[4] هو الحسن بن أبي الحسن يسار ، أبو سعيد ، مولى زيد بن ثابت [ص: 564] الأنصاري ، ويقال مولى أبي اليسر كعب بن عمرو السلمي ، قاله عبد السلام أبى مطهر ، عن غاضرة بن قرهد العوفي ، ثم قال : وكانت أم الحسن مولاة لأم سلمة أم المؤمنين المخزومية ، ويقال : كان مولى جميل بن قطبة. ويسار أبوه من سبي ميسان سكن المدينة وأعتق ، وتزوج بها في خلافة عمر ، فولد له بها الحسن - رحمة الله عليه - لسنتين بقيتا من خلافة عمر واسم أمه خيرة ، ثم نشأ الحسن بوادي القرى ، وحضر الجمعة مع عثمان ، وسمعه يخطب ، وشهد يوم الدار وله يومئذ أربع عشرة سنة.
قال حجاج بن نصير : سبيت أم الحسن البصري من ميسان وهي حامل به ، وولدته بالمدينة، قيل لابن الأشعث : إن سرك أن يقتلوا حولك كما قتلوا حول جمل عائشة ، فأخرج الحسن . فأرسل إليه ، فأكرهه، مات الحسن في رجب سنة عشر ومائة (انظر الذهبي المصدر السابق ج 4 ص 575 - 577.

وأهم العلوم التي نالها الاهتمام: تفسير القرآن الكريم والسيرة النبوية والنحو. وكان من أبرز علماء النحو واللغة الخليل بن أحمد الفراهيدي[1] والكسائي والأخفش[2] وسيبويه الذي كان كتابه في النحو مثالاً يحتذى في التأليف

6-عوامل انتقال علماء المغرب الإسلامي الى حواضر المشرق:

بلاد المشرق حظيت بمكانة خاصة في قلوب المغاربة وعلمائهم، لأنها كانت مصدر اشعاع حضاري ومركز الحضارة الإسلامية، وازدهرت الحياة العلمية ببلاد المشرق ولأجل ذلك توجه العلماء المغاربة لتلك الحواضر طلبا للعلم واكتساب العلوم بكل فروعها ولقاء الشيوخ والعلماء مع ملازمتهم لهم والأخذ عنهم، وكان أصل تلقى العلم بذلك الزمان (كمال العلم بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال) وكان لعلماء المغرب مشاركة في الحياة العلمية بحواضر المشرق الإسلامي وهذه بعض عوامل انتقال المغاربة للمشرق.

أ-الرحلات العلمية لعلماء بلاد المغرب لبلاد المشرق.

أ-1-تعريف الرحلة:

الرحلة لغة: يقول الفيروز ابادي في القاموس المحيط[3] لفظة الرحلة هي السير والترحال والانتقال، يقال مضى القوم من مكان ، أي عبروا واللفظة رحلة مصدر مشتق من الفعل رحل ومنه الترحال ويقصد بها السفرة او الرحلة الواحدة، فالرحلة هي انتقال شخص واحد أو مجموعة اشخاص من مكان الى اخر ، قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة " رحل في السفر ، الحاء واللام أصل والرحلة هي المضي والارتحال[4].

1 الإمام ، صاحب العربية ، ومنشئ علم العروض أبو عبد الرحمن ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، البصري ، حدث عن أيوب السختياني ، وعاصم الأحول ، والعوام بن حوشب ، وغالب القطان، كان رأسا في لسان العرب ، دينا ، ورعا ، قانعا ، متواضعا ، كبير الشأن ، يقال : إنه دعا الله أن يرزقه علما لا يسبق إليه ، ففتح له بالعروض ، وله كتاب : " العين " ، في اللغة . وثقه ابن حبان . وقيل : كان متقشفا متعبدا . قال النضر : أقام الخليل في خص له بالبصرة ، لا يقدر على فلسين ، وتلامذته يكسبون بعلمه الأموال، ولد سنة مائة ومات سنة بضع وستين ومائة وقيل : بقي إلى سنة سبعين ومائة وكان هو ويونس إمامي أهل البصرة في العربية ، ومات ولم يتمم كتاب " العين "

2 إمام النحو أبو الحسن ، سعيد بن مسعدة البلخي ثم البصري ، مولى بني مجاشع، كان الأخفش أعلم الناس بالكلام ، وأحذقهم بالجدل، توفي في 110ه

3 مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: القاموس المحيط ، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، لبنان 2005، ص100

2 أبوالحسن احمد بن فارس بن زكرياء: معجم مقاييس اللغة ، تحقيق وضبطعبد السلام محمد هارون ، ج1، ج2، ط 2، دار الفكر سوريا 1979، ص4

- وذهب ابن منظور الافريقي في كتابه لسان العرب الى ان فعل رحل بمعنى سار وارتحل ورجل رحال أي كثير التنقل عالم بفنون الرحلة ومدرك لها[1].

وجاء ذكر الرحلة في القرءان الكريم في قوله تعالى في سورة الفيل " **لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۢ ٤** "[2]

أ-2-الرحلة اصطلاحا: الرحلة كتابة يحكى فيها الرحالة أحداث سفر،وما شاهده في الرحلة كتابة يحكى فيها الرحالة أحداث سفره وماعاشه ، ويدون انطباعاته الشخصية حول الراحل إليهم وإنجاز الرحلة يتطلب من الرحالة أن يكون ذا مستوى ثقافي معين، يؤهله لنقل أحداث سفره، فالرحلة نوع من النأليف الذي يجمع فيه الرحالة بين الرغبة العميقة، والتفكر الدقيق في جمع المشاهدات والنتائج ببصر حاد وبصيرة نافذة،فالرحالة يقوم باطلاعنا على أحوال البلاد التي يزورها وعلى عوائد أهلها وأخلاقهم[3] وبهذا يعبر عن وغيره، وتتعلق بالأخر، لمصاحبة أثناء قيامه بالرحلة ومشاهدته أن تكون وليدة اللحظة

فهي خلاصة استجابة معينة تعتمد على مثير خارجي يدركه عن طريق المشاهدة، وأخر داخلي يدفعه لتوثيق رحلته، والعوامل التي أثرت سلبا وايجابا في رحلته تلك.

والرحلة مصدر شامل تسجل فيه الجوانب المتعددة التي قام فيها صاحب الرحلة، أثناء انتقاله من وطنه الى مكان اخر، وأسمى المطالب التي يقصدها ويسعى اليها الانسان في رحلاته في طلب العلوم الشرعية والدنيوية، ولقد حث ديننا على ذلك وبالغ في الترغيب في الهجرة لطلب العلم[4]، والعلم أسمى ما يطلب وترخص دون تحصيله النفوس والأفئدة، قال رسول الله صل الله عليه وسلم **" من يرد به الله خيرا يفقهه في الدين "**

وارتبط مفهوم الرحلة اكثر بعلوم الدين لأنه الغالب، لذلك اهتم طلبة العلم منذ القديم ومع بدايات الإسلام الأخرى بالرحلة ، فقطعوا المفاوز والثغور وجابوا البلاد المشرقية لتلقي العلم والسماع من المشايخ ، لدرجة

1 أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرمإيبن منظور الافريقي المصري:لسان العرب ، تحقيق نخبة من الاساتذة ج3، مادة رحل، دار المعرف، القاهرة، د.ط ،د.ت، ص 1608.

2 القرءان الكريم، سورة قريش

3 التنبكتي نيل الابتهاج تطريز الديباج، ج2، 23.

4 هدى نوري شكر، أثر الحضارة العراقية على الحضارة الاندلسية الإسلامية، ص 76.

صارت فيه الرحلة علامة مميزة لطالب العلم ، وفي البدايات الأولى كانت وجهة الرحلات الى بلاد المشرق تحديدا لعدة اعتبارات وعوامل[1] نذكر منها:

- جل واغلب الأماكن والديار المقدسة كانت ببلاد المشرق الإسلامي.
- تمركز العلماء والحفاظ والفقهاء ببلاد المشرق، مما جعلهم مقصد طلبة العلم من كل بقاع العالم الإسلامي، إضافة الى وجود عاصمة الخلافة الإسلامية.
- المكتبات والمدارس التي كانت تزخر بها بلاد المشرق مع تحويه من مصادر وكتب نفيسة[2]

يقول ابن خلدون [3]" عن الرحلة في طلب العلم ولقاء المشايخ، مزيد كمال في طلب العلم والسبب في ذلك ان البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم، وما ينتحلون به من المذاهب علما وتعليما واقاء وتارة محاكاة .....فالرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ.....".

7-دوافع الرحلة العلمية لبلاد المشرق:

7-1 الدو افع العلمية والدينية للرحلة:

كانت أفئدة المغاربة علماء وعامة في شوق وتلهف للرحلة لبلاد المشرق الإسلامي وتحديدا الى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج ومناسك العمرة وزيارة مسجد رسول الله صل الله عليه وسلم بالمدينة النبوية والأماكن المقدسة الأخرى ، وعليه كان السبب الرئيس والمحرك والدافع لهذه الرحلة عامل ديني[4]، ثم إن في في كتاب الله وسنة رسوله صل الله عليه وسلم قصص الأنبياء كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وقصصهم ووحلاتهم بغية نشر دين التوحيد والعقيدة الصحيحة

كان ركب الحج[5] عن المغاربة يتكون ويضم عددا كبيرا من العلماء والصلحاء وطلبة العلم وعامة الناس، وكان انتقال بصحبة كتبهم لمدارستها ودراستها ببلاد المشرق على يد فطاحلة أهل العلم المشارقة، وحتى تكون زادهم المعرفي في طريقهم للحج، وقد يحتاجون لبيعها أحيانا إذا دعت المصلحة والحاجة لذلك بمدن المشرق

1 علي إبراهيم كردي، ادب الرحلة في المغرب والاندلس، مكتبة الأسد، دمشق، د.ط،2013، ص13.

[2] احسان عباس، مقدمة تحقيق رسائل ابن حزم ،ج4، 25.

[3] ابن خلدون ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، توثيق خليل شحاذة ، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر ، لبنان ،1421ه/2000م ، ص509.

[4] السخاوي ، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة اللطيفة مطبعة دار النشر للثقافة، القاهرة، 1989،ج 1، ص275.

[5] الحج ركن هام من أركان الإسلام و من أجل ذلك اعتنى المسلمون و حكامهم بالحج منذ فجر الإسلام فاهتموا بحفر الآبار و العيون في الطرق المؤدية إلى البلاد الحجازية و أنفقوا المال الكثير لتجهيز هذه الطرق بكل مستلزمات الرحلة و أماكن للإقامة وتوفير الأمن بل و إنشاء موكب سنوي

التي يقصدونها

كانت تتم هذه الرحلات بالغالب لأجل الاتصال المباشر بالعلماء والشيوخ في بلاد المشرق الإسلامي ، طلبا للعلم والزيادة منه ، ورغبة في الحصول على الاجازات العلمية[1]، من اهل العلم المشارقة ، ولسماع الروايات والاسانيد النادرة والعالية ، وحفظها ، وللاطلاع على مختلف المؤلفات والتصانيف العلمية والأدبية التي كتبها المشارقة في مختلف ضروب المعرفة ، وعلى هذا الأساس كانت الرحلات العلمية للمغاربة صوب بلاد المشرق الإسلامي ، غاية وهدف يصغر امامها كل مطلوب، ويسعى فيها بالغالي والنفيس ، مع ما كان عند المغاربة (العلماء وطلبة العلم) من علو الهمة وشرف النفس والرغبة من الاستزادة من العلوم وبخاصة علوم الشريعة السمحاء[2].

ساعدت هذه الرحلات العلمية على صقل الروح والملكة العلمية عند طلبة العلم المغاربة، واكسبتهم مكانة علمية وادبية هامة عند المشارقة، وكان انتقال المغاربة في رحلاتهم بصحبة كتبهم ومؤلفاتهم، وحتى مؤلفات غيرهم من علماء المغرب، وذالك للرجوع اليها والاستفادة منها، او لرغبة في تقديمها كنوع من الاجلال والاكرام لشيوخهم المشارقة[3] الذين كانوا يتشوقون لمعرفة ما تحتويه هذه الكتب من الفوائد الجليلة والعلوم المفيدة.

ولقد فقدت الكثير من هذه المؤلفات والكتب بفعل عوامل متعددة لعل من أهمها الاغارة التي كان يتعرض لها الركب المغربي لنهبه وسلبه ما يملك، وذلك في فترة ضعف وانكسار بني العباس في منتصف القرن السابع للهجرة، والحروب الصليبية واغارات القبائل المختلفة عليهم (على الركب المغربي).

7-2-الدو افع الاقتصادية للرحلة:

لعبت الظروف الاقتصادية دورا كبير في تنشيط حركة الهجرة والرحلة المغربية صوب المشرق ، رغبة في معرفة الطرق التجارية البرية والبحرية ، وظهر في هذا المضمار مصطلح او بالتعبير الادق علم تقويم

دائم للحج و العناية بالحجاج و عرف أهل المغرب الأوسط كغيرهم من المغاربة عبر تاريخهم الاسلامي الطويل بحرصهم الكبير على أداء فريضة الحج و ما سنحت لهم به هذه المناسبة السنوية من فرص اللقاء والتواصل مع إخوانهم المسلمين فضلا عن أن رحلة الحج ذهابا و إيابا كانت تتخللها لقاءات علمية بين أهل العلم من شيوخ و طلبة. وسلك حجاج المغرب الاوسط ثلاث مسالك و طرق مؤدية الى الحرمين الشريفين منها الطريق البري الداخلي و الطريق الصحراوي و الطريق البحري ولم يكن كل طريق ثابت بل يتغير من فترة لأخرى حسب الظروف الطبيعية و السياسية و حتى الاقتصادية

[1] مصطلح علمي ابتكره علماء الإسلام في بداية عصور الرواية، كان يهدف إلى توثيق العلوم المتمثلة في ذلك الوقت بالقرآن الكريم ومرويات السنة المطهرة، يحصل من خلالها الباحث على حق الرواية، أي الإذن في الرواية والمشاركة في الساحة العلمية، فمن نال إجازة في تلاوة القرآن الكريم أو رواية حديث أو كتاب فقد دخل صرح العلوم الشرعية، ونال الإذن في المساهمة في نقل العلم ونشره بين الناس.

[2] يحي بكلي، العلماء الجزائريون المدرسون بالمسجد النبوي، ص ص 55-56 (بتصرف يسير)

[3] عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، مؤسسة نويهض للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط2، ص265

البلدان والمسالك والممالك، من حيث وصف طرق التجارة ، تسهيلا للتجار وحركة التجارة بين مختلف البلدان الإسلامية ،عبر القوافل البرية او عن طريق البحر بواسطة السفن ، وذلك لتنشيط حركات التبادل التجاري، وقد يكون ذلك هروبا من ظروف وعوامل الغلاء، وبحثا عن فرص افضل للتجارة والتبادل ، ولقد حاز المغاربة الاسبقية في ذلك ، من خلال ابحارهم عبر البحار والمحيطات ، وساهمت حركة التجارة في زيادة مراكز التنقل، وربطوا علاقات- المغاربة- تجارية واسعة، الشيء الذي نشط الحركة التجارية والعلمية في بلاد المشرق والمغرب.

7-3-الدو افع السياسية للرحلة:

نشطت الرحلات في أوساط السياسيين وأعضاء الوفود التي يبعث بها الحكام من اجل تبادل الكثير من الرؤى حول القضايا السياسية المختلفة، ورغبة في تمتين أواصر العلاقات بين الدول ، أو لإبرام وعقد المواثيق والعهود المختلفة ، وحتى لمناقشة السلم والحرب ، او للتجسس و التربص بالخصوم والمنافسين السياسيين، هذا الامر جعل من الحكام والامراء يلتفتون الى ضرورة تنظيم الدولة داخليا **وعلاقتها** بالدول المجاورة الصديقة والعدوة، فظهر البريد كوسيلة للتواصل والتراسل ونشطن حركة الكتابة (أدب الرسالة)[1]، وازداد الاهتمام بجمع الجزية من الكفار والخراج من المسلمين

احتل الدافع السياسي جزءا كبيرا في رحلات المغاربة، على اعتبار ان الظروف السياسية والاجتماعية أثرت كثيرا في العامة والخاصة على حد السواء ، وأشد ما كان التأثير على العلماء ، الذين هم صفوة المجتمع ، وقد تعرضوا للضغوط من الامراء والحكام.

7-4-الدو افع الصحية والسياحية

جاء الإسلام للناس ليخرجهم من ظلمات الجهل والكفر الى نور الايمان والعلم، ورغب في التأمل والاعتبار في خلق وملكوت الله عزوجل وأخذ العبر من الأمم السابقة ونصوص القرءان الكريم حافلة بالدعوة الى التفكر والتامل في خلق الله وملكوته، ولا يحصل ذلك الا بالسير في ارجاء الكون الفسيح وأرض الله الواسعة،

[1] ابن حوقلن المصدر السابق ، 77

وساعدت الرقعة الممتدة للعالم الإسلامي بين قارتي اسيا وافريقيا في نشاط الرحلة ودفعت الانسان، للسير في مناكب الأرض والتأمل والعزلة[1].

وقد تكون الرحلة للسياحة ناشئة عن رغبة فردية في السفر وتحصيل لذاته ، وتغيير الأجواء والمناظر ، وتجديد النشاط ، والمغامرة وكسب الجديد من المعارف والعادات والطبائع ، كما تكون الرحلة أيضا لرؤية ومشاهدة ما خلفته الأمم السابقة من اثار كالقلاع والمباني وغيرها.

وقد تكون الرحلة لغرض علاجي أو طلبا للاستشفاء، ورغبة في اراحة الجسد من من العناء والتعب كالارتحال الى الأرياف والقرى والنجوع، وهروبا من الأوبئة والطواعين[2].

8-الأوضاع العلمية في بلاد المشرق الإسلامي:

ازدهرت الحياة العلمية في بلاد المغرب الإسلامي، فالمشرق كان يضم حواضر دمشق وبغداد والحجاز (مكة والمدينة)، وكانت هذه الحواضر محط وقبلة العلماء وطلبة العلم من شتى الاصقاع ، واستمر هذا الثقل العلمي والمعرفي طوال فترات الخلافة الإسلامية ابتداء من عصر الخلفاء الراشدين ، مرورا بلامويين والعباسيين وخاصة في العصر السلجوقي ،فقد أسس السلاجقة المراكز العلمية المتعددة ، نذكر من ذلك ما قام به الوزير نظام الملك الطوسي (ت 485هـ-1092م) الذي بنى عدة مدارس تعليمة بمختلف حواضر المشرق[3] ، منها المدرسة النظامية في بغداد ، وهي من المدارس التي بسببها وأخواتها نشطت الحركة العلمية في بلد المشرق ، ثم جاء بعده الملك الصالح محمود نور الدين زنكي (ت 569هـ-1173م) الذي أنشأ مدرسة بدمشق للحديث وخصص لها اوقافا كثيرة، وبنى على منوالها مدارس أخرى في حلب وحمص وغيرها من مدن الشام، ثم جاء بعده بنيه، فأكملوا بناء المدارس بالشام ومصر وغيرها من الأقاليم.

8-1-العلماء المشارقة بالمغرب:

صاحب رحلة المغاربة الى بلاد المشرق رحلة بالاتجاه المعاكس لكثير من علماء المشرق الإسلامي لبلاد المغرب ، لتقلي مختلف العلوم ، من علماء العدوة الغربية لبلاد العالم الإسلامي ، والاستفادة مما عندهم من علوم، وقصدوا المكتبات التي كانت ببلاد المغرب (مكتبات عامة او خاصة) للاستفادة واقتناء الكثير من

[1] أحمد عبد الحليم عطية دراسات في تاريخ العلوم، ص 30.

[2] تقي الدين الفاسي، العقد الثمين، ج 6، ص 220.

[3] ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1 ،ص 445.

الكتب العلمية، وحملوها في طريق عودتهم الى بلادهم ، وبعضهم ممن لم يتوفر له المال الكافي لاقتنائها قام بنسخها، ومنهم من أهديت له ، ويذكر ابن خلكان في مؤلفه**1** ممن ارتحل الى بلاد المغرب وثيمة بن الفرات**2** ، والذي دخل الاندلس تاجرا وغيره من فضلاء العلماء والمحدثين والفقهاء.

8-2-الوقف :

قام كثير من علماء المغرب الإسلامي الذين استقروا ببلاد المشرق وتحديدا بالحرمين الشريفين والقدس أثناء رحلاتهم العلمية او للحج ، بوقف[3] مصنفاهم وكتبهم في المكتبات والخزائن العلمية.

اتجهت أنظار الواقفين المغاربة من السلاطين والوجهاء والعلماء وعامة الناس إلى وقف ممتلكاتهم من الأراضي والمباني والمحاصيل الزراعية على جهات معينة؛ اتجهت عنايتهم إلى وقف الكتب وتحبيسها على مراكز العلم من المساجد والمدارس والخزانات والزوايا والأربطة. مما ساهم بشكل كبير في تنشيط حركة العلم والتعليم بها، ناهيك عن تنشيط حركة التأليف أيضاً، بحكم توافر المواد المعرفية المختلفة والميسرة للتحصيل. وقد زادت عناية المغاربة أن امتد وقفهم للكتب على خزائن المشرق، وخصوصاً خزائن المساجد الحرُم الشريفة الثلاثة مكة والمدينة والقدس. وهو مظهر من مظاهر التعلق بتلك البقاع الشريفة المقدسة، وابتغاء التقرب إلى الله تعالى بخدمتها. وتسجل مجموعة من مصادر التاريخ المغربي، وعلى رأسها كتب الرحلات الحجازية أخباراً كثيرة عن وقفيات المغاربة من الكتب على هذه المساجد. ويزداد الأمر توثيقاً بمطالعة الرحلات التي سافر مؤلفوها ضمن الركب الرسمي آنذاك، وهو الركب الفاسي[4]، حيث كان السلاطين يبعثون بالهدايا

---

[1] ابن خلكان قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس احمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان الإربلي الشافعي أحد الأئمة الفضلاء والسادة العلماء والصدور الرؤساء وهو أول من جدد في أيامه قضاء القضاة من سائر المذاهب فاشتغلوا بالأحكام بعد ما كانوا نوابا له ، وقد كان المنصب بينه وبين أبن الصائغ دولا يعزل هذا تارة ويولى هذا ، ويعزل هذا ويولى هذا ، وقد درس ابن خلكان في عدة مدارس لم تجتمع لغيره ولم يبق معه في آخر وقت سوى الأمينية وبيد ابنه كمال الدين موسى النجيبية.

توفي ابن خلكان بالمدرسة النجيبية المذكورة بإيوانها يوم السبت آخر النهار في السادس والعشرين من رجب ودفن من الغد بسفح قاسيون عن ثلاث وسبعين سنة وقد كان ينظم نظما حسنا رائقا وقد كانت محاضرته في غاية الحسن وله التاريخ المفيد الذي رسم بوفيات الأعيان من أبدع المصنفات والله سبحانه أعلم . انظر (ابن كثير البداية والنهاية المجلد 17، ص 588)

[3] الوقف في اللغة الحبس والمنع، وهو ثلاثي من الباب الثاني، يقال وقَف يقِف وقفاً، ولا يأتي رباعيا إلا في لغة رديئة، ويُشتهر استعمال المصدر باسم المفعول، فيقال: هذه الدار وقف، أي موقوفة، ولهذا فإنه يثنى ويجمع عندئذ، فيقال: وقفان وأوقاف، ويأتي بمعنى السكون، يقال وقفت الدابة إذا سكنت واصطلاحا الوقف من حيث هو مصدر هو: (إعطاء منفعة شيء مدة وجوده لازما بقاؤه في ملك معطيه ولو تقديرا)، ومن حيث هو اسم (ما أُعطيَت منفعته مدة وجوده)، انظر لسان العرب، والمصباح المنير، مادة (وقف).

[4] ركب الحج المغربي الذي ينطلق من مدينة فاس بالمملكة المغربية قاصدا بيت الله الحرام.

العظيمة والثمينة، والأموال الكثيرة والمصاحف الرائقة الفائقة الصنعة لأجل تحبيسها على خزائن تلك المساجد. وفيما يلي نماذج من تلكم الوقفيات التي هي غيض من فيض :

- 1وقف السلطان يوسف بن يعقوب بن عبدالحق المريني (ت 706 هـ/ 1307 م).

في سنة 703 هـ/1303 م أرسل هذا السلطان ركب حاج مغربي ضخماً إلى الحرمين الشريفين، واعتنى به اعتناء كبيراً من تجهيزه بالعسكر والمؤونة اللازمة، كما أرسل معه أموالاً كثيرة بقصد تفريقها على أهل مكة والمدينة. ومن جملة ما بعث معهم إلى حرم مكة بالخصوص (مصحف ضخم اعتنى به واستكتبه. وجعل له غشاءً مكللاً بنفيس الدر وشريف الياقوت ورفيع الأحجار)[1].

2 - وقف السلطان أبي الحسن المريني (ت 752 هـ/ 1351 م). فقد كان هذا السلطان شغوفاً بالمعاهد الشريفة اقتداء بعمه يوسف بن يعقوب[2] وغيره من سلفه. لذلك ارتأى أن يكتب مصحفاً كريماً بخط يده ليوقفه على الحرم المكي، ابتغاء لمرضاة الله. ولشدة اعتنائه بهذه النسخة، جمع عدداً من الوراقين وأهل الصناعة لتنميقها وتذهيبها، والقراء لضبطها. ثم انتسخ نسخة أخرى من المصحف على النسخة الأولى، ووقفها على القراء بالمدينة المنورة -زادها الله شرفاً. وفعل مثل ذلك بحرم بيت المقدس سنة 745 هـ. قال صاحب نفح الطيب: (وكان السلطان أبو الحسن المريني كتب ثلاثة مصاحف شريفة بخطه، وأرسلها إلى المساجد التي تشد إليها الرحال، وأوقف عليها أوقافاً جليلة). ويضيف قائلاً: (وقد رأيت أحد المصاحف المذكورة، وهو الذي ببيت المقدس، وربعته في غاية الصنعة). وهذه الربعة التي كان يظن أنها ضاعت إلى حدود زمن قريب، هي الوحيدة التي لا تزال بقيد الوجود مِن بين ما خطه هذا السلطان بيده، وتقع في ثلاثين جزءاً، وتسمى في بيت المقدس (ربعة سلطان المغرب).

8-3-الرد على المشارقة:

[1] الفاسي ، المصدر السابق، ص 226.

[2] أبو يوسف يعقوب بن أبي يعقوب يوسف بن أبي محمد عبد المؤمن بن علي، القيسي الكومي، صاحب بلاد المغرب... كان صافي السمرة جدًّا، إلى الطول ما هو، جميل الوجه، أَفْوَه أَعْيَنَ شديد الكحل، ضخم الأعضاء، جَهْوَرِيَّ الصوت، جَزْلَ الألفاظ، من أصدق الناس لهجة، وأحسنهم حديثًا، وأكثرهم إصابة بالظنِّ، مجربًا للأمور، ولي وزارة أبيه، فبحث عن الأحوال بحثًا شافيًا، وطالع مقاصد العمال والولاة وغيرهم مطالعة أفادته معرفة جزئيات الأمور، ولما مات أبوه اجتمع رأي أشياخ الموحدين وبني عبد المؤمن على تقديمه، فبايعوه وعقدوا له الولاية، ودَعَوْهُ أمير المؤمنين كأبيه وجدِّه، ولَقَّبُوه بالمنصور، فقام بالأمر أحسن قيام، وهو الذي أظهر أبهة ملكهم، ورفع راية الجهاد، ونصب ميزان العدل، وبسط أحكام الناس على حقيقة الشرع، ونظر في أمور الدين والورع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأقام الحدود حتى في أهله وعشيرته الأقربين، كما أقامها في سائر الناس أجمعين، فاستقامت الأحوال في أيامه وعظمت الفتوحات. انظر ابن خلكان ، وفيات الاعيان ج 5 ،ص 347

كان الرد على علماء المشرق الإسلامي سببا اخر لتوافر ووجود المصنفات المغربية ببلاد المشرق الإسلامي، خاصة مع نظرة التفوق والاستعلاء التي كان يظهرها كثير من المشارقة، مما حدا ببعض المغاربة ليتفرغوا للرد على المشارقة، من خلال نشر وإشاعة مؤلفاهم ببلاد المشرق لإثبات رسوخ قدمهم في العلم والدين

ولعبت المراسلات[1] دور كبيرا في نقل الاخبار وحنى معارف اهل المغرب الى المشرق كالمراسلات الرسمية والديوانية وحتى الاخوانية والتي استفاد منها كثيرا المؤرخون في التاريخ لتلك الحقبة التاريخي

تشكل العالم الإسلامي من عدوتين (المغرب والمشرق) متربعا على مساحة شاسعة بين قارتين مختلفين تجمع بين مكوناته عوامل متعددة من وحدة الدين واللغة والمصير المشترك، ففي شرقه مقدساته أرض الحرمين وبيت المقدس ، وهذا ما جعل رابطة الروح والدم والدين تصل بين عدوتيه ، ولأجل ذلك نشطت حركة التبادل العلمي والفكري بين علمائه من رحلات علمية ورحلات حج وعمرة ، وتلاحقت من خلالها الأفكار والقرائح، وكان للحرمين مكانة خاصة في قلوب المغاربة جميعا وخاصة العلماء وطلبة العلم ولأجل ذلك أوقفوا الكثير من الكتب والممتلكات الخاصة بهم للحرمين الشريفين، ونشطت لأجل ذلك الحركة العلمية المغربية ببلاد المشرق من خلال التصانيف العلمية المفيدة والنافعة واقبل عبها المشارقة تعلما واستفادة.

كان للرحلة العلمية دور فاعل ومهم في توثيق الصلات الثقافية بين المشرق والمغرب، كما سهلت من التواصل بين العلماء وتحقيق التعاون في محتلف المجالات، بل ساهم علماء العدوتين (المشرق، المغرب) في ازدهار الحياة العلمية، حيث تولى العديد منهم التدريس والقضاء الإمامة وغيرها، كما أدت الرحلة الى ظهور مراكز واقطاب ارتبطت شهرتها بالنشاط التعليمي لكونها شكلت قبلة للعلماء.

1 كلمة المراسلات عربية الأصل وجذرها رسل وتراسَلوا بمعنى أرسل بعضهم إلى بعض، والرَّسْلِهِ هي التي تُراسِلُ الخُطّابَ والرَّسولُ هو المُرْسَلُ، والمُرْسَلات هي الرياح أو الملائكة أو الخيل، انظر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، 1406هـ، مادة رسل.

المبحث الثاني: علماء المغرب الإسلامي في المشرق وإسهاماتهم في العلوم النقلية

- دور أهل المغرب في الحياة الفكرية ببلاد المشرق
- التعريف بالعلوم النقلية
- جهود العلماء المغاربة في علم القراءات بالمشرق الإسلامي
- علم الحديث النبوي الشريف واسهامات المغاربة فيه بالمشرق
- علماء اللغة المغاربة أثارهم العلمية ببلاد المشرق
- المناصب العلمية لعلماء المغرب الإسلامي بالمشرق
- الحضور المغاربي في المشرق على المستوى الاجتماعي

مع منتصف القرن الخامس الهجري – الحادي عشر ميلادي، هاجر مجموعات من السكان المغاربة، متوجهة إلى بلاد المشرق وبخاصة بلاد الشام[1] والحجاز ، وذلك نتيجة الظروف التي مرت بها، والمتمثلة بالاضطرابات السياسية في المغرب والأندلس، فضلا على الرغبة الكبيرة للمغاربة في السعي لتغيير أوضاعهم الاجتماعية وطلبا للعلم ، كما أن الأمر كان مناسبا في بلاد الشام والحجاز[2] ، لازدهار الحركة العلمية، فوافقت هذه الظروف تطلعات ورغبات الكثير من المغاربة ، الأمر الذي احدث تفاعلا بين المشارقة والمغاربة بكل فئاته وأصبح هؤلاء القادمون يعاملون على مبدأ المساواة مع إخوانهم أهل الشام والعراق وبلاد نجد.

كان المشرق الإسلامي الرافد الكبير الذي اعتمد عليه أهل المغرب في طلب العلوم المختلفة ، على اعتبار أنه كان يمثل مركز الثقل الحضاري للدولة الإسلامية ، منذ بدايتها الأولى على عهد رسول الله صل الله عليه وسلم، وصولا للدولة الأموية ثم العباسية[3] وغيرهما وامتدت لما يقرب من ألف عام، وأسهمت في الحضارة الإنسانية أعمال جليلة ، وإضافات مهمة جدا.

في هذا المبحث سنتطرق الى جهود العلماء المغاربة ببلاد المشرق الإسلامي في حقل العلوم النقلية ، والتي تختص في الغالب بعلم الشريعة والعلوم المساعدة له ، التي أبدع فيها العلماء المغاربة، وكيف أن مذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى ساعد في بروز نخبة من فطاحلة العلماء المغاربة ببلاد المشرق ، خدمت المذهب كثيرا.

قسم المسلمون الأوائل (العصور الوسيطية) العلوم إلى علوم نقلية وعلوم عقلية ، وعلوم اللغة..

يقسم ابن حزم (ت456هـ- 1063م) العلوم إلى مراتب[4] ومستويات كما في رسالته مراتب العلوم الى علوم للشريعة ، وعلم الأخبار والتاريخ ، علم النجوم، علم العدد ، علم الطب.

[1] الشام: يشير إلى شروق الشمس وفي الجغرافي هي المنطقة التي كان يطلق عليها الهلال الخصيب وتشمل أراضي سوريا والاردن ولبنان وفلسطين الحالية، انظر ممدوح الخرابشة ، استقرار القبائل العربية في بلاد الشام ، الجامعة الأردنية ، ص 5.

[2] الحجاز هي المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية حاليا ومن مدنها مكة المكرمة وجدة ومن أشهر قبائلها قريش (انظر،صلاح السوداني الحياة الاجتماعية في الحجاز قبل الإسلام ، عمان مركز الكتاب الأكاديمي، ص .319.

[3] ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص5

4 ابن حزم، مراتب العلوم ،ج 4، ص 59

وأما الغبريني[1] فقد قسم العلوم كما في آخر كتابه –عنوان الدراية- إلى قسمين، علم الدراية، والقسم الثاني علم المرويات.

وذهب ابن خلدون الى تقسيم العلوم إلى علوم عقلية-حكمية-وعلم المنقول[2].

1-دورأهل المغرب في الحياة الفكرية ببلاد المشرق:

شكل أهل المغرب فئة كبيرة ومهمة في بلاد الشام والحجاز ، وكانت هذه الفئة في غالبها من العلماء وطلبة العلم والعباد من مختلف التوجهات الفكرية والتخصصات العلمية، ساهمت في تنشيط الحياة العلمية والعامة ببلاد المشرق، واظهروا نجاحات في الأعمال الموكلة إليهم كالتدريس والقضاء والإفتاء وغيرها وحازوا قصب السبق في كثير من العلوم والميادين، وتركوا تراثا علميا وأدبيا ثريا، استفادت منه الأمة الإسلامية، حاملين لواء العلم والمعرفة في كل فنون العلم والمعرفة[3] التي كانت سائدة في تلك الحقبة من تاريخ الأمة المشرق، وتنوعت إسهاماتهم العلمية والمعرفية بين علوم عقلية ونقلية، نستعرض في هذا المبحث جوانب من مساهمات المغاربة بمؤلفاتهم في حقل العلوم النقلية.

2-تعريف العلوم النقلية:

العلوم النقلية هي العلوم المستندة الى النقل كأصول الفقه، الفقه والحديث والتفسير وعلم الكلام والعلوم اللسانية وغيرها، قال ابن خلدون – العلوم صنفان، صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه، فالأول يشمل العلوم الحكمية الفلسفية التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره، ويهتدي بمداركه البشرية.....والثاني يشمل العلوم النقلية الوضعية وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مدخل للعقل فيها، إلا ما يلحق الفروع بالأصول[4].

ومن أشرف العلوم النقلية وأعلاها منزلة ما تعلق بالشريعة الإسلامية، التي تذكر فيها الاحكام الشرعية والاعتيادية والتي تشمل في المقام الأول القرءان الكريم وماتعلق به من علوم كالتفسير والقراءات والفقه، ثم سنة رسول الله صل الله عليه وسلم القولية والفعلية والتقريرية والتي جاءت مفصلة في أحاديث الرسول صل الله عليه وسلم، ثم تأتي في المقام الثالث ما يصطلح عليه باسم علوم

[1] احمد بن احم بن عبد الله الغبريني، مؤرخ وفقيه، نشأ ببجاية وولي القضاء، من مؤلفاته عنوان الدراية، (ت 704هـ- 1352م)، انظر عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص 331.

2 ابن خلدون، المصدر السابق، ص ص 779-780

3 ابن حزم، المصدر السابق،ج 4، ص 61

4 ابن خلدون، المصدر نفسه ص 776

الآلة والعلوم المساعدة على فهم وضبط المصطلحات والمفاهيم الشرعية كاللغة والنحو والبلاغة[1] وغيرها.....

ازدهرت حركة العلوم النقلية في العصر الإسلامي الأول لارتباطها بالوحيين، ونال علماء وحملة الشريعة العناية والاحترام والتقدير لجهودهم العلمية من الخاصة والعامة، وسعى المسلمون لخدمة علوم

الشريعة المختلفة، عبر إنشاء دور القرءان الكريم الكريم والحديث والحديث الشريف وبناء المدارس والكتاتيب وغيرها من أماكن التعليم، ثم انه إحساس المسلمين الأوائل بخطر دول الكفر جعلهم يهتمون بالعلوم ويسعون بكل الوسائل والسبل للعناية بها تعلما وتعليما زيادة في التمسك بالدين القويم، وتدفعهم لمجاهدة المعتدين بكل حزم وقوة ، فالعلم زيادة في قوة الأمة وصلابتها وتشرف العلوم وتتفاضل فيما بينها بشرف مصدر وغايتها، وعلوم القرءان والحديث أشرف العلوم باعتبار علوم تدرس كلام الله رب العالمين وكلام رسوله الكريم صل الله عليه وسلم، ومن هذه العلوم :

3-جهود العلماء المغاربة في علم القراءات بالمشرق الإسلامي

3-1تعريف علم القراءات: لغة جمع قراءة وهي مصدر قرأ قراءة وقرانا بمعنى تلا تلاوة وهي في الأصل بمعنى الجمع والضم[2]، تقول قرأت الماء في الحوض أي جمعته وسمي القران قرانا، لأنه يجمع الآيات والسور ويضم بعضها لبعض

واصطلاحا: يعرف علم القراءات بتعاريف متعددة ومختلفة، فقد عرفها ابن الجزري[3] أحسن تعريف إذ قال هي علم يهتم بكيفية أداء كلمات القرءان واختلافها، وعرفها القاضي عبد الفتاح رحمه الله تعالى

1 البلاغة في اصطلاح اللُّغة كما عرّفها القزوينيّ في كتابه (الإيضاح في علوم البلاغة) هي: "مُطابقة الكلام لمُقتضى حال السّامعين مع فصاحته" ، انظر د.محمد أحمد قاسم، د.محيي الدين ديب (2003م)، علوم البلاغة، طرابلس-لبنان: المؤسسة الحديثة للكاتب، صفحة 11. بتصرّف.

2 لأبي عبيدة معمر بن المثنى مجاز القرآن، ج1، ص32

3 هو الإمام محمّد بن محمّد بن محمّد بن علي بن يوسف الجَزَرِيُّ، المعروف بلقبه ابن الجَزَريّ؛ نسبةً إلى جزيرة ابن عمر، يُكنّى بأبي الخير، وُلد في دمشق لخمسٍ وعشرين ليلةٍ خلون من شهر رمضان، كان والده عقيماً لا يُنجب، فحجّ ذات سنةٍ وألحّ على الله الطلب بأن يرزقه ابناً صالحاً فلم يكتمل شهر رمضان إلّا وقد أنجب ابنه الإمام محمّد ابن الجزريّ،

توفّي الشيخ ابن الجزريّ -رحمه الله-في بيته، في مدينة شيراز الإيرانية، يوم الجمعة عام ثمانمائة وثلاثةٍ وثلاثين للهجرة، وكان عمره حينها اثنين وثمانين سنةً.

بقوله-هو علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية وطريق أدائها اتفاقا واختلافا مع عزو كل وجه لقائله

وعرفه الدمياطي فقال (علم يعلم منه إتقان الناطقين لكتاب الله واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل...وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره[1]

حاز المغاربة قصب السبق في علم القراءات ونبغوا فيه، وكانوا مجددين في ضبطه، وتجلى هذا الاهتمام الكبير من المغاربة بعلم القراءات في نقلهم لعدد من القراءات الى بلاد الشام والحجاز التي لم تكن معروفة لديهم، كطريقة المقرئ الأندلسي أبو عمرو الداني[2] التي نقلها الى الشام ونشرها عن طريق التعليم والتلقين القارئ الأندلسي أحمد بن محمد الأنصاري الشاطبي، الذي حل بمدينة دمشق سنة 504هـ-1111م ، وقد جسد هذه الطريقة ووضحها وشرحها في في كتاب سماه (قرءاة أبي عمرو الداني)، فضلا عن بعض المؤلفات الأخرى التي وضعها ككتاب (المقنع في القراءات السبع) وكتاب (التنبيه على قراءة الإمام نافع).

كما اشتهر أيضا من أندلسي أخر هو ابن الطحان، الذي قيل عنه انه لا يوجد بالمغرب أعلم به، وتجلى هذا الأمر في عدد من المؤلفات التي تركها مثل كتاب (نظام الاداء في الوقف والابتداء) وكتابه الاخر (مخارج الحروف) الذي هو عبارة عن مقدمة جمع فيها أسس ومبادئ علم القراءات.

استطاع المغاربة والأندلسيون أن يؤسسوا قاعدة صلبة لهذا العلم المتعلق القرءان الكريم من حيث الحفظ والإلقاء، فقدم المقرئ أبو القاسم منظومة سهلة للطلاب للحفظ في قالب شعري جميل ، تسيهلا للطلاب والمهتمين بالحفظ والضبط واتقان تلاوة القرءان الكريم بطريقة متميزة لم يسبق إليها من ناحية الاسلوب والبراعة وهي اختصار –المنظومة- لكتاب التيسير لأبي عمرو الداني وتسمى بالشاطبية، وهو ما سهل على كثير من طلبة العلم استذكار قواعد القراءات وحفظها، وبلغت ابيات هذه المنظومة

1 ابن الجزري، منجد المقرئين، ص3

2 الإمام الحافظ، المجود المقرئ، الحاذق، عالم الأندلس أبو عمرو ؛ عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي ، مولاهم الأندلسي ، القرطبي ثم الداني ، ويعرف قديما بابن الصيرفي ، مصنف " التيسير " و " جامع البيان " ، وغير ذلك.

ذكر أن والده أخبره أن مولدي في سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة فابتدأت بطلب العلم في أول سنة ست وثمانين، ورحلت إلى المشرق سنة سبع وتسعين، فمكثت بالقيروان أربعة أشهر ، ثم توجهت إلى مصر ، فدخلتها في شوال من السنة ، فمكثت بها سنة ، وحججت، مات أبو عمرو يوم نصف شوال سنة أربع وأربعين وأربعمائة ودفن ليومه بعد العصر بمقبرة دانية.

ثلاث وسبعون ومائة وألف بيت من الشعر، أبدع فيها غاية الإبداع ، ونظم قصيدة تسمى الدالية من حوالي خمسمائة بيت شعري، لخص فيها مضمون كتاب (التمهيد)[1] لأبي عبد البر في القراءات.

ومن فضلاء العلماء والفقهاء المغاربة الذي أسهموا في هذا العلم ببلاد المشرق نذكر:

-عبد الله البسكري (ت829هـ-1425م): من فضلاء الفقهاء والعلماء العاملين بكتاب الله واحد اكبر واشهر المقرئين في وقته، ولد بمدينة بسكرة، وفيها نشأ وتعلم، ثم رحل الى المشرق، نازلا ببيت المقدس بفلسطين ، قال عنه الحافظ السخاوي "كان شيخ دار القرءان الكريم في المدرسة السلامية، وكان يقرأ القرءان الكريم فيها على قاعدة ومذهب إبراهيم الاموي الصوفي، فانتفع به خلق كثير ، وكان عالما بالقرءات متقنا لها وقافا عند حدود كتاب الله، ولقد جاوز التسعين من العمر

3-2- علم الحديث النبوي الشريف واسهامات المغاربة فيه بالمشرق

تعريف علم الحديث: الحديث لغة الجديد من الاشياء وجمع حديث أحاديث كقطيع واقاطيع وهو شاذ على غير قياس قال الله عزوجل " فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا "[2]

وفي الاصطلاح الحديث هو ما أضيف الى النبي ل الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقريرا صفه له صل الله عليه وسلم وينقسم الحديث الشريف باعتبار رواته الى قسمين:

- الحديث المتواتر : هو اسم فاعل مشتق من التواتر أي التتابع نقول تواتر المطر أي تتابع نزوله مثل قوله تعالى " "ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةٗ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۖ فَأَتۡبَعۡنَا بَعۡضَهُم بَعۡضٗا وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَۚ فَبُعۡدٗا لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ"[3].

وفي الاصطلاح الحديث المتواتر مارواه العدد الكثير الذي تحيل العادة تواطؤهم على الكذب، ولا يتحقق ذلك الا باستفاء شروط اربع

-ان يرويه عدد كثير وأقل الكثرة عشرة اشخاص

-ان توجد هذه الكثرة في جميع طبقات السند

[1] أبو حامد الغرناطي، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، المغرب، 1993، ص105.

2 سورة الكهف، الآية 06

3 سورة المؤمنون، الآية 44

-ان تحيل العادة تواطؤهم على الكذب

-ان يكون مستند خبرهم الحس مثل قولهم سمعنا رأينا لمسنا.....

- الحديث الآحاد : هو جمع احد والخبر واحد ما يرويه شخص واحد[1]. .

وفي الاصطلاح الحديث الآحاد هو ما لم تجتمع فيه شروط المتواتر.

الحافظ زكي الدين ابو عبد الله محمد بن يوسف بم محمد البرزاني ، احد من اعتنى بالحديث النبوي، ورز فيه، كان شيخ الحديث في حضور ابن عروة بالمسجد الاموي ، ثم سافر الى حلب ومارس عمله في التدريس الى وفاته سنة 636هـ-1249م بمدينة حماه.

الحافظ علم الدين ابو محمد القاسم البرزالي، شيخ الحديث بالمدرسة النورية بدمشق، وفيها كتب بدار الحديث السنية وبدار الحديث القوصية وفي الجامع وغيره وعلى كراسي الحديث، كان متواضعا محبوبا للناس متوددا عليهم توفي عن اربع وسبعين سنة رحمه الله تعالى ، وذلك سنة 739هـ-1339م.

ومن المغرب الاوسط محمد بم محرز الوهراني الاديب (ت 575هـ-1206م) نشأ بوهران ورحل الى بلاد المشرق مرورا بصقلية ، ثم دخل مدينة دمشق في عهد نور الدين بن محمود زنكي ثم زار بغداد وعاد الى دمشق فولي الخطابة وله تصانيف بديعة أغلبها مفقود[2]

ومنهم ابو القاسم محمد التميمي القسنطيني وهو متكلم اشعري الاعتقاد محدث وفقيه سمع صحيح البخاري بدمشق من الفقيه نصر ابن ابراهيم المقدسي شيخ الشافعية بزمانه، ومنت اثاره العلمية كتاب " تنزيه الاله وكشف فضائح المشبهة"

ومنهم ايضا عبد الرحيم القنائي (ت سنة 592هـ-.1228م) الذي حصل العلم ونبغ فيه وكان يتردد على جامع ترغاي بالمغرب الاقصى ثم رحل الى الشام وتحديدا مدينة دمشق، التقى هناك اخواله، وأمضى عامين في تحصيل العلوم المختلفة، وايضا برز الفقيه المحدث محمد بن جعفر الصنهاجي الذي جمع الفقه والحديث وصنف كتاب (المسالك السديدة في شرح العقيدة)[3].

1 محمود الطحان، تيسير مصطلح الحديث، ص21.

[2] الانصاري، المصدر السابق، ج1،ص316.

3 ابن القاضي المكناسي،درة الجمال في أسماء الرجال ، القاهرة ، 1900م، 263/2 .

ومن المغاربة ايضا المحدث الفقيه **عبد الله بن علي الصنهاجي الاشيري**[1](ت سنة 561هـ-1203م) وكان اديبا وله مشاركات بالأدب والشعر ، الا ان الحديث والفقه غلب عليه، من أشير ورحل الى المغرب والاندلس والشام والعراق ، حدث بالموطأ وغيره وذكره الحافظ ابن عساكر الدمشقي (ت 571هـ.)

أنه سمع منه، وكتب عنه كتابا ألفه لأجله سماه كتاب " بعض ما انتهى إلينا من الاخبار في ذكر من وافقت كنيته كنية زوجته من الاخيار"، وكان أديبا وله شعر جيد وأجتمع بالملك العادل[2]، وقد أثنى عليه جماعة من الحفاظ، ووصف بالحفظ والإتقان، كان عالما بالحديث والاسانيد والانساب واللغة، وحدث ببغداد عن جماعة من الحفاظ منهم ابي الحسن بن موهب والقاضي ابي عياض بن موسى وغيرهم كثير، ولأجل هذا تسابق طلبة العلم للأخذ منه، وتباهى الوزراء والامراء بمجالسته والنيل من علمه وسمته،كما حدث مع الوزير **يحي بن هبيرة الحنبلي** (498-560هـ /1105-1165م) ببغداد، وسمع منه الملك العادل نور الدين محمود زنكي ، وقرأ عليه كتاب " الإفصاح عن شرح معاني الصحاح" لابن هبيرة[3] ، ومن طبقته أيضا ، وقد اشتهر بالتحديث والقراءات يوسف بن علي المغربي الهزلي المقرئ، وقد كان كثير الرواية ومن مصنفاته: " الكامل " في القراءات ، التقى جماعات من العلماء والمحدثين.

ومن علماء المغرب الأوسط **محمد بن محرز الوهراني الاديب** (ت 575هـ-1179م) نشأ بوهران ثم رحل الى المشرق، مارا بصقلية وتونس وطرابلس، دخلها –دمشق- في عهد نور الدين بن محمود ال زنكي ، ثم رحل الى بغداد ، طالبا للعلم والسند العالي ليعود مرة أخرى لدمشق[4].

---

[1] الامام العلامة أبو محمد بن عبدالله بن علي الصنهاجي الاشيري، سمع الحديث ببغداد مع ولده في أيام الوزير ابن هبيرة وكان من كبار المالكية ، حدث عنه احمد بن علي بن غزلون وعلي بن عبد الله بن موهب والقاضي عياض، قال عنه ابن الحصري كان اماما في الحديث ذا معرفة بفقهه ورجاله وله اليد الطولى في التحو واللغة ، مات في شـــوال من سنة احدى وستين وخمسمائة انظر الذهـبي، المصدر السـابق ،ج 20 ص 467.

[2] السلطان الكبير الملك العادل سيف الدين أبو الملوك وأخو الملوك أبو بكر محمد ابن الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان بن يعقوب الدويني الأصل التكريتي ثم البعلبكي المولد . ولد بها إذ والده ينوب بها للأتابك زنكي بن آقسنقر في سنة أربع وثلاثين وخمسمائة، نشأ في خدمة الملك نور الدين ، ثم شهد المغازي مع أخيه . وكان ذا عقل ودهاء وشجاعة وتؤدة وخبرة بالأمور ، وكان أخوه يعتمد عليه ويحترمه ، استنابه بمصر مدة ثم ملكه حلب ، ثم عوضه عنها بالكرك وحران ، وأعطى حلب لولده الظاهر، قلت (الذهبي): وكان سائسا ، صائب الرأي ، سعيدا ، استولى على البلاد ، وامتدت أيامه ، وحكم على الحجاز ، ومصر ، والشام ، واليمن ، وكثير من الجزيرة ، وديار بكر ، وأرمينية . وكان خليقا للملك ، حسن الشكل ، مهيبا ، حليما ، دينا ، فيه عفة وصفح وإيثار في الجملة . أزال الخمور والفاحشة في بعض أيام دولته ، وتصدق بذهب كثير في قحط مصر حتى قيل : إنه كفن من الموتى ثلاثمائة ألف ، والعهدة على سبط الجوزي في هذه، وقد احتيل على الفتك به مرات ، ويسلمه الله ، توفي بعالقين في جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة، انظر الذهبي ، المصدر السابق ،22.ص 116.

3 الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج17، ص192

[4] المقري ، نفخ الطيب من غصن الاندلس الرطيب ن ت احسان عباس ، بيروت ، دار صادر،ج2، ص235.

ومن الذين رحلوا الى الشام أيضا **عبد الرحيم القنائي** (ت 592هـ- 1195م) حصل جمعا من المتون ببلاد المغرب بجامع ترغاي[1] ثم قفل راخلا لدمشق ، والتقى هناك أخواله ،وطلب العلم على مشايخ دمشق وله كتاب المسالك السديدة في الحديث والعقيدة[2]

3-3 علماء اللغة المغاربة و أثارهم العلمية ببلاد المشرق

حظيت اللغة العربية وعلوما المختلفة من نحو وصرف وبلاغة ..... بعناية كبيرة جدا من العلماء وطلبة العلم ، إذ بها يفهم كلام رب العالمين ، وبها نزل القرءان الكريم على سيد المرسلين صل الله عليه وسلم ن ولها جذور ضاربة في التاريخ من عهد نبي الله إسماعيل عليه السلام ، لهذا وغيره اهتم العرب واعتنوا بها ودرسوها فهي لسانهم الناطق ، فارخوا لها وجمعوا واستنبطوا منها الأصول ووضعوا لها قواعد تضبطها ، حفاظا عليها من ان تدخلها العجمة، او تتأثر بلغات وافدة من أقوام أخرين ، نتيجة الفتوحات الإسلامية وما صاحبها من اختلاط العرب بغيرهم من الاجناس ، وقد عرفها المؤرخ حاجي خليفة[3] بقوله " بانها العلوم التي يحترز العرب من الخطأ في كلامهم لفظا وكتابة"

ويطلق على العلوم التي تهتم بالعربية بعلوم اللسان العربي ، وتتكون من اقسام أربعة هي اللغة والنحو والبيان والادب[4]

فاللغة هي عبارة المتكلم عن مقصوده وهي فعل إنساني[5] ، أما النحو فهو علم قوانين اللغة به تعرف أحوال التراكيب العربية ، من الاعراب والبناء وغيرها ، والنحو يعرف به أحوال المتكلم ، وهي علم بأصول

[1] ترغاي، تقع بالمغرب الأقصى بالقرب من مراكش (انظر البكري ، المسالك والممالك ، ص 425.).

[2] الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج 17، ص 188.

[3] كاتب جلبي أو حاجي خليفة تعني آمر القلم ورئيسه هو واحد من أبرز علماء المسلمين في القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي. وهو -كما يتضح من ترجمته التي تضمنتها هذه المقدمة- رجل صَرَفَ همّته وقضى عمره في تحصيل العلم ونشره. بدأ يطلب العلم منذ نعومة أظفاره، وظل يشتغل به طيلة حياته في الحضر والسفر، وفي الحرب والسلم تاريخ الوفاة 1067م .

[4] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص546

[5] المصدر نفسه ،ص 546.

صحة الكلام وفساده ، غذ بالنحو تتبين المقاصد فنعرف الفعل والفاعل والمفعول والخبر والمبتدأ ولولاه لجهل أصول الافادة[1].

أما البيان فهو كما يظهر من اسمه عبارة عن اظهار وايضاح المتكلم المراد من كلامه لسامعه.

شارك المغاربة إخوانهم في بلاد الشام في خدمة علم النحو واستطاع الكثير منهم ان يتصدوا بكل جدارة لمهمة تدريس هذا الفن من علوم اللغة العربية في كثير من مدن الشام ومدارسها وبالحجاز وبمساجدها أيضا ، وقد اظهروا براعتهم والهيتهم الكاملة في التصدي لهذه المهمة ، مما جعل ذكرهم خالد عبر مؤلفات خلفوها ومن أمثلة ذلك :

-**ابن مالك النحوي** : جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني[2](ت 672هـ-1274م) لقب بشيخ النحاة ،كان واسع الاطلاع عارفا باللغة وآدابها ، ذا خبرة واسعة بتدريس النحو ، الامر الذي أهله لأن يستلم رئاسة المدرسة العادية الكبرى ،(كان اليه المنتهى في اللغة اكثارا، تقبل غريبها والاطلاع على وحشيها ، وأما الصرف والنحو ، فكان بحرا لا يجاري وحبرا لا يبارى ، اما أشعار العرب التي يستند ويستشهد بها على اللغة والنحو ، فكان الائمة الاعلام يتحيرون منه ويعجبون لحفظه ، وكيف يأتي بها ، ونظم الشعر وبرز فيه .....) توفي بدمشق في شهر رمضان ودفن بتربة القاضي عزت الدين بن الضائغ بجبل قاسيون[3]

تبرز أهمية ما تركه ابن مالك ، في أنه كان صاحب مدرسة نحوية وكتب كتب خالدة ، مما جعل اغلب النحويين بعده وخاصة ببلاد المغرب عيالا على مؤلفاته، ولم يبلغوا ما بلغه من التأليف والإنتاج العلمي ، مما جعل الكثير من النحويين يلجأون الى شرح مؤلفاته، التي حوت العلم الغزير والفوائد الجمة ودليل ساطع على ما بلغه ابن مالك في حقل النحو لدرجة أن مؤلفاته بلغت أكثر من عشرين مؤلفا ، تناولت علم النحو وقواعده، ومن بينها " تسهيل الفوائد في النحو" وكتاب " الضرب في معرفة لسان العرب" وكتاب " الكافية الشافية " وكتاب " الخلاصة " وكتاب " الخلاصة" وكتاب العمدة وشرحها وكتاب " سبك المنظوم وفك المختوم" وكتاب إكمال الإعلام الكلام " وغيرها..

[1] الجرجاني ، التعريفات ، مصر ، ص 105.

[2] نسبة الى جيان مدينة واسعة بالأندلس، تتصل بكورة البيرة في شرق قرطبة، البغدادي ، مراصد الاطلاع ،ج 1ن ص364.

[3] قاسيون، يقع جبل قاسيون شمالي مدينة دمشق، ويعرف بأنه "جبل مقدس"، إذ تمتع هذا الجبل بأهمية كبيرة لدى الرسل والأنبياء والنساك والمتصوفة طوال آلاف

تخرج على يد ابن مالك النحوي عدد كبير من طلبة العلم[1]، كان لهم شأن كبير فيما بعد، على صعيد العلم وعلى صعيد العلم وعلى صعيد الإدارة منهم:

محمد بن عبد الرحمن السلمي المعروف بابن النويرة (ت 675هـ- 1277م)، وزين الدين أبو البركات المنجا بن عثمان بن أسعد (ت 697هـ-1296م)، وكذلك محمد بن إبراهيم الاوزاعي (ت 715هـ-1306م)، ومحمد بن محمد شمس الدين الانصاري الشافعي الذي توفي بعد أستاذه بسنوات (ت 682هـ-1284) ومحمد بن سليمان بن فهد الحلبي (ت 775هـ-1325م) وغيرهم ....

-**جمال الدين أبوبكر** محمد بن أحمد بن عبد الله البكري الشريشي(ت 685هـ-1323م)[2] الذي رحل من المغرب الى المشرق وتولى مشيخة الصخرة في الحرم المقدسي الشريف ، ومشيخة الحرم ومن مؤلفاته" كتاب الاشتقاق وشرح جليل لألفية ابن معطي ، مارس التدريس في مدرسة الفاضلية في القاهرة مدة ، ثم انتقل للتدريس في مدارس القدس، بعدها انتقل الى دمشق حيث تولى مشيخة الرباط الناصري حتى وفاته سنة 685هـ -1286م[3].

- **نصر الزواوي**[4] (ت 826هـ-1422م) من علماء المغرب رحل الى المشرق وأقام في القدس قرابة عشرين سنة أخذ عنه الكثير وقال عنه السخاوي (ذكره العيني ووصفه بالعلم والفضل والزهد)، توفي بالقدس.

- **محمد بن عيسى المكنى بأبي عبد الله التبسي**[5] (ت 840هـ- 1436م) من علماء العربية رحل الى المشرق وتولى القضاء في حماة وأقام بها مدة طويلة وأخذ عنه الكثير ثم سافر الى الروم .

أحمد بن سعيد بن محمد الشهابي المكنى بأبي العباس التلمساني [6](ت874هـ- 1451م) فقيه مالكي كان فاضلا في فقه العربية رحل الى المشرق وولى القضاء في دمشق ثم جاب الإسكندرية والعراق ولكنه عاد الى مدينة دمشق وتوفي بها .

بالرغم من تفاوت النحويين المغاربة في الاهلية المستوى العلمي ،فإنهم ساهموا من خلال حلقات التدريس في بلاد الشام والحجاز، أو من خلال مؤلفاتهم التي تركوها، في إحياء علم النحو والصرف في

[1] الصفدي ، الوافي بالوفيات، ج 2،ص 359.

[2] السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، محمد أبو الفضل ،دت ،ص 44.

[3] خير الدين الزركلي، الاعلام ، ط 5 ،ج3، ص 307.

[4] السخاوي ، المصدر السابق ،ج 10ن ص 277.

[5] السخاوي، نفسه ، ص277.

[6] السخاوي ، التبر المسبوك في ذيل السلوك ، ص40.

كثير من الأحيان ، متسلحين في ذلك بحصيلتهم العلمية أو من خلال المناصب التدريسية العليا التي شغلوها في مدارس الشام او ببلاد الحجاز في حلقات الحرمين ، فقد تسلم عدد منهم مشيخة النحو في عدة مدارس وفي مشيخة مدارس وعلوم أخرى ببلاد الشام[1].

و تكمن أهمية وقيمة الدور الذي لعبه هؤلاء العلماء المغاربة في التجديد الذي احدثوه في علوم اللغة[2] بصفة عامة وعلم النحو تحديدا ، وذلك كله مبثوث في أمهات الكتب التي ألفوها ، وأحدثوا أسلوبا جديدا ومنهجا خاصا بهم ، ظهر ذلك في مؤلفا كألفية ابن معطي المغربي التي تعد اول مؤلف في النحو صيغ في قالب شعري ، وكان التجديد مثلا أيضا في حال القاسم بن أحمد اللورقي، الذي الف عدد من الكتب ، شرح فيها مؤلفات غيره من النحويين ككتاب " شرح الجزولية " الذي يعد من أمهات الكتب النحوية المغربية ، والذي يعتقد على الصحيح أن اهل المغرب النازلين للشام هم من أتي به .

4- المناصب العلمية لعلماء المغرب الإسلامي بالمشرق:

توطدت الصلات العلمية بين علماء العدوتين المغربية والمشرقية ، ولم تقف لا الجغرافيا ولا الحدود السياسية عائقا امام حالات التواصل هذه ، اذا كان العالم المسلم او طال العلم حرا طليقا في سعيه لتحصيل المعارف والعلوم، مدفوعا في ذلك في الرغبة للتحصيل العلمي والاستزادة منه ، مما جعل كثيرا من طلبة العلم والعلماء المغاربة تهفوا نفوسهم وتطيب للرحلة في سبيل تحصيل مختلف العلوم، فرحلوا الى حواضر المشرق من القاهرة الى دمشق الى القدس الى ارض الحجاز، فحصوا العلوم الجمة ، واستقروا هناك وجلسوا للتدريس و الإفتاء والقضاء وغيرها .....

زمن أبرز هؤلاء العلماء الذين رحلوا الى المشرق واستقروا هناك، العالم **علي بن محمد بن جميل المعافري**[3] ، الذي نشأ بمالقة إحدى مدن الاندلس ، وأخذ من علمائها ، ثم اتجه صوب بلاد المشرق ، فحصل علوما في رحلته هذه بمصر والشام ، ليستقر به المقام بالمسجد الأقصى، وكان معروفا بالزهادة متقنا لصنعة الحديث فاضلا تقيا ، عالما بالقراءات ، إماما باللغة والنحو ، حسن الخط ، ذو ديانة ،عينه صلاح الدين الايوبي سنة 583هـ-1187م **إماما لمسجد قبة الصخرة** ، وزكاه لهذا المنصب العلماء والفضلاء ،قال فيه العماد الاصبهاني " رتب السلطان في قبة الصخرة إماما من احسن القراء تلاوة وأزينهم طلاوة وأنداهم صوتا ، وأسماهم في الديانة صيتا، واعرفهم بالقرءات السبع والعشر.....ووقف عليه

[1] أحمد علي ، بلاد الشام في نظر المغاربة والاندلسيين، مجلة التاريخ العربي ، عدد 15، سنة 2000، ص 47.

[2] الحنبلي، الإنس الجليل، 2/ 247.

[3] الانصاري، المصدر السابق، ج1،ص 315.

دارا وارضا وبستانا"[1]، استمر في منصبه حتى وفاته سنة 605هـ-1208م ، ومع قيامه بالإمامة وتكاليفها فقد واصل البحث والتعلم ، وسمع من الحافظ ابن عساكر في رمضان من سنة 596هـ-1199م كتاب فضائل القدس ، ويلاحظ مدى الأثر والاستفادة التي قدمها هذا العالم الجليل في نقل العلم ، الذي استفاده لما كان بموطنه مالقة. ومنهم عبد المنعم بن عبد الله بن حسان الغساني الاندلسي الجلياتي[2] الطبيب والشاعر الذي رحل من الاندلس، ودخل بغداد ثم اتصل بالسلطان صلاح الدين وألف كتاب منادح المماد أشارت الكثير من المصادر التاريخية بمدى فعالية المغاربة المالكية وحضورهم على مستوى المؤسسات العلمية على تنوعها في مصر والشام والحجاز، فقد مارسوا مهنة التدريس التي وبينوافيها شروطها وابرزوا أهدافها، كما ذكروا الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المدرِّس في مصنفات خاصة، فقد صنف ابن الحاج العبدري المغربي المالكي (ت776هـ/1374م)الذي عاش في مصر زمن المماليك أفرد فصلا في كتابه"المدخل الشريف" سماه "فصل من شرع في أخذ الدرس يجب أن تكون عليه السكينة والوقار"[3] ، ولا شك أن الهدف من اهتمامهم بتلك الآداب والشروط، هو أن يكون المدرّس قدوة يُحتذى به.

وقد وُجد كثير من المغرب الأوسط في مصر والشام خلال العصر المملوكي مارسوا التدريس، وتصدّروا المجالس والحلقات، لإفادة الناس، ولتأدية رسالتهم العلمية، سواء في المساجد أو المدارس أو غيرها، ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر، الشيخ يحي بن أحمد بن عبد السلام، المعروف بالعُلمي القسنطيني (ت888هـ/1483م)، تصدى للتدريس بعدة مواضع، منها الجامع الأزهر، وانتفع به طلبة العلم، خاصة في الفقه وأصوله؛ وأيضا زين الدّين قاسم بن محمد بن إبراهيم المغربي (ت799هـ/1396م)، درّس الفقه لمدة بهذا الجامع، وكان مفتيا[4].

والشيخ زين الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان بن أحمد المراكشي (ت717هـ/1317م)، كان له نشاط بمسجد قدّاح في الإسكندرية، تمَثّل نشاطه في الإقراء لغلبة هذا التخصص عليه[5] ، وهذا ما يؤهله ربما لإمامة الناس في الصلوات الخمس.

[1] ينطر العماد الاصفهاني، الفتح القيسي في الفتح القدسي، ت محمد محود صبح، الدار القومية للطباعة والنشر، 1965، ص 14.

[2] ابن ابي اصيبعة، المصدر السابق، ص630.

3 ابن الحاج، المدخل الشريف، د.ت، ج01، ص114

4 المقريزي، 1997، ج05، ص404

5 البرزالي، 2005 ص441.

كما قام أحد المغاربة المالكية في هذا الجامع بنشاط آخر تمثّل في رئاسة المؤذِّنين، وهو أبو الطاهر محمد تقي الدين المغربي الأصل (ت772هـ/1370م)، كان بارعا ونابغة زمانه في علم الهيئة التي منها علم حساب النجوم وعلم المواقيت، وهذا ما جعله يتبوأ تلك المكانة وأن يكون قَيِّما على المؤذنين.

زد على ذلك فقد نشط المغاربة في إثبات حضورهم بالجامع الأموي بدمشق، وعملوا على توسيع دائرة انتشار المذهب المالكي من خلاله، وممّن أمّ الناس منهم في محراب المالكية بهذا الجامع نذكر الشيخ الإمام الفقيه محمد بن إبراهيم بن شمس الدين الصنهاجي (ت702هـ/1302م)، وكان فقيها فاضلا، درّس به الشيخ شرف الدين عيسى بن مسعود الزواوي (ت744هـ/1343م)، حيث أقام بدمشق سنين، ودارت عليه الفتيا في مذهب الإمام مالك[1].

ونذكر أيضا أحد مشايخ المالكية الذين أفادوا وانتفع الناس بهم في الجامع الأموي، الشيخ عماد الدين إسماعيل المغربي ثم الدمشقي(ت803هـ/1400م)، كانت له حلقة علم بهذا الجامع يُدرِّسُ ويُفتِي.

بالإضافة إلى نشاط المالكية في الإمامة والتدريس بهذا الجامع، نذكر عملا آخر لهم، ألا وهو قراءة مراسيم تولية المالكية للقضاء في محرابهم بالجامع الأموي، فمثلا تذكر المصادر أن القاضي شمس الدين محمد بن يوسف المغربي تولّى القضاء سنة 902هـ/1496م[2] ، لبس تشريفا بقضاء المالكية وقُرِئَ توقيعه بالجامع الأموي عند محراب المالكية[3] .

وتذكر المصادر خطوة هامة تُحسب للمغاربة في دعمهم للمذهب المالكي بالشام، حيث أقدموا على بناء مؤسسات علمية بأنفسهم، فهذا الشيخ موسى بن عبد العزيز الزواوي ثم الدمشقي المالكي (ت736هـ/1335م)، ذُكر بأن له مسجد يؤم به[4] ، وبالتالي فهو خاص بالمالكية ومذهبهم دون غيرهم من أصحاب المذاهب الأخرى.

ومن المدارس التي شهدت نشاطا علميا للمغاربة المالكية بمصر نذكر المدرسة القمحية، وهي أول وأهمُّ مدرسة للمالكية بمصر منذ العصر الأيوبي، أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبي للفقهاء المالكية، وكان الشروع فيها للنصف من محرم سنة 566هـ/1170م[5].

[1] ابن مخلوف محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتب العلمية، ص 332.

[2] ابن الحمصي، 2000، ج02، ص392)

[3] اعمر فروخ ، تاريخ الادب العربي من القرن الخامس الهجري حتى الفتح العثماني ،ج3، ص121.

[4] (ابن الجزري، 1998، ج02، ص896)،

[5] (المقريزي، 1998، ج03، ص439).

وممن درّس بها جماعة من مالكية المغرب خلال العصر المملوكي منهم المؤرخ المالكي قاضي القضاة ابن خلدون المغربي (ت808هـ/1405م)[1]، وقاضي القضاة شمس الدين الركراكي(ت792هـ/1390م) ، كما تصدّر بها للتدريس أيضا الفقيه شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن مرزوق العجيسي(ت781هـ/1380م).

وقد أطلعتنا المصادر على أسماء مغاربة نشّطوا العملية التعليمية في المدرسة المنصورية بالقاهرة، نذكر منهم الفقيه يحي بن احمد بن عبد السلام، المعروف بالعُلَمي القسنطيني (ت888هـ/1483م)، وكان انتفاع الناس به كبيرا، خاصة في الفقه.

وتولّى الإعادة بالمدرسة الناصرية بالقاهرة الشيخ الإمام نجم الدين أبو العباس سعيد بن احمد الغماري (ت725هـ/1324م)[2] ، كما أعاد بها أيضا الشيخ شرف الدين عيسى بن مسعود بن منصور الزواوي(ت744هـ/1343م)، الذي انتهت إليه معرفة مذهب الإمام مالك بمصر، وانتفع به الناس[3] .

ونورد مثالا آخر للمدارس التي نشط بها مالكية المغرب، وهي المدرسة المقدّمية بحلب، فعلى الرغم من أنها خاصة بالمذهب الحنفي إلا أن ذلك لم يمنع مشاركة المالكية في نشاطها العلمي، حيث نزل بها أبو النور التونسي (ت926هـ/1519م) وعمل مؤدّبا للأطفال فضلا عن تولّيه الإمامة بها[4].

ويضاف إلى ما تقدّم المدرسة الشرابيشية وهي إحدى مدارس المالكية بدمشق، درّس بها تاج الدين عبد الرحمن الزواوي[5]، كما درّس بها لمدة طويلة قاربت السبعة عشر سنة، الشيخ برهان الدين إبراهيم بن محمد بن علي الصنهاجي(ت796هـ/1393م)، وكان رجلا فاضلا يلقي دروسا حسنة،وتصدّر للتدريس والإفادة بها أيضا، قاضي القضاة بدمشق، الشيخ سالم بن إبراهيم بن عيسى الزواوي (ت873هـ/1468م)، وكان محدّثا ومدرّسا ومفتيا[6].

[1] المقريزي، نفسه ، ص 442.
[2] ابن حجر، 1972، ج02، ص269)،
[3] الصفدي، 1998، ج03، ص723-724.
[4] الغزي، 1997م، ج01، ص123.
[5](الصفدي، 1998، ج02، ص444.
[6] ابن الحمصي، 2000، ج01، ص116.

ولا ننسى أن نشير هنا إلى نقطة مهمة في هذا الجانب، وهي الألقاب العلمية التي تُطلق على العلماء في تلك الحقبة، فمن خلال ما قدمناه من تراجم سابقة، وما طالعناه في كتب الطبقات، نجد الكثير من هذه الألقاب التي وُصف بها علماء المالكية المغاربة، كالشيخ العالم، الإمام، الفقيه، المفتي، المحدّث، المسند، الحافظ، وغيرها، وهي ألقاب تشريفية، تصف حال العالِم، ولا تُطلق إلا على من كانت له الأهلية التامة، والكفاءة العالية، ومن هؤلاء العلماء مثلا الشيخ أبي الفضل محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن التلمساني (ت845هـ/1441م)، حلّاه المؤرخون بالإمام العالم العلامة الحجة، النظار المحقق"، وذكروا تزاحم الناس عليه بدمشق حين عرفوا علمه وفضله، فاستفاد من علمه الكثيرون[1].

كما نشير هنا إلى أن العلماء آنذاك-ومنهم المالكية طبعا-كانوا حريصين على ألا يتصدر المجالس العلمية والتدريس إلا من امتلك ناصية العلم، وكان أهلا له، فمنصب المدرّس ليس أمرا هيّنا يبلغه من هبّ ودب، وإنما يتقمص التدريس من زكاه مشايخه وأساتذته، وعرفوا كُنه نفسه، وسبَرُوا أغوار شخصيته، حتى يخرّجوا للأمة من يرفع رايتها في مجال العلم، ويواصل مسيرة بذله، ويُمتّنوا حلقاته، فلا ينقطع ولا

5-الحضور المغاربي في المشرق على المستوى الاجتماعي:

الظواهر الاجتماعية التي تصدّى لها العلماء على اختلاف مذاهبهم، فأنكروها وعملوا على إزالتها وتطهير المجتمع المشرقي منها، نذكر منها التصوف الذي أخرَجه بعضهم من معناه الحقيقي المتمثل في الزهد والتقشف والإعراض عن الدنيا إلى الغناء والرقص، ما جعل علماء المغاربة يتلَقّونه بالنكير، وأعلنوا عليه النفير، فيذكر ابن الحاج العبدري المالكي (ت737هـ/1336م) أنه لم يثبت عن الإمام مالك ولا من تبعه من أئمة المذهب مَن استحسن هذه الظاهرة، بل تبرؤوا منها وعدّوها بدعة واستهجنوها .

كما ظهر خلال العصر المملوكي بمِصر والشام من ادّعى الحلول ووحدة الوجود في وقت ظهَر فيه كبار الاتحاديين، وصار لهم أتباع كمحي الدين ابن عربي[2](ت638هـ/1240م)، وعمر ابن الفارض الذي عاش بمصر (ت632هـ/1234م)، وهو أشهر شعراء الاتحاد ووحدة الوجود، فانبرى بعض المالكية من المغاربة للإنكار عليهما وتكفيرهما، وأدركوا خطر هذه العقيدة على الإسلام فتصدّوا لها بالنقد والتحذير

[1] التنبكتي، 2000، ص521

[2] العلامة صاحب التواليف الكثيرة محيي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائي الحاتمي المرسى بن العربي ، نزيل دمشق ، ذكر أنه سمع من ابن بشكوال وابن صاف ، وسمع بمكة من زاهر بن رستم ، وبدمشق من ابن الحرستاني ، وببغداد . وسكن الروم مدة ، وكان ذكيا كثير العلم ، كتب الإنشاء لبعض الأمراء بالمغرب ، ثم تزهد وتفرد ، وتعبد وتوحد ، وسافر وتجرد ، وأتهم وأنجد ، وعمل الخلوات وعلق شيئا كثيرا في تصوف أهل الوحدة . ومن أردأ تواليفه كتاب " الفصوص " فإن كان لا كفر فيه، فما في الدنيا كفر ، نسأل الله العفو والنجاة فواغوثاه بالله ، توفي في ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة، انظر الذهبي ، سير الاعلام ، ج 23، ص48، الطبقة الرابعة والثلاثون.

منها، فهذا الشيخ شرف الدين عيسى بن مسعود الزواوي المغربي(ت743هـ/1342م)، انتهت إليه رياسة المذهب المالكي بمصر والشام، قال عن مصنَّف ابن عربي"فصوص الحكم" بأنه هذيان، وكفر وبهتان، وأنّ مَن صدّق بذلك أو اعتقد صحته كان كافرا ملحدا يُقتل متى ظهر عليه، ولا تُقبل توبته إن تاب[1]

ومن المنكرين على دعاة الحلول والاتحاد من مالكية المغرب في مصر والشام خلال العصر المملوكي الشيخ ابن خلدون (ت808هـ/1405م)، فحين تحدّث عن أصناف التصوف ذكر هذه الطائفة ضمن المبتدعة، وأن أصحابها لهم مصنفات مشحونة بكفر بواح، ثم بيّن رأي الشـرع في تلك الكـتب مثل" الفصوص" والفتوحات المكية" لابن عربي، وقصيدة ابن الفارض وغيرها من المصنفات التي تدخل في نفس السياق أن حكمها الحرق بالنار والغسل بالماء حتى ينمحي أثرها نهائيا، لما في ذلك من جلب للمصلحة العامة في الدين ودرء للمفسدة.

نستنتج أن المالكية المغاربة تفاعلوا مع بعض القضايا الفكرية المُثارة آنذاك في مصر والشام، فأدْلَوا بدَلْوِهم وبينوا أراءهم فيها، فكان أن ندَبوا أنفسهم لمحاربة التصوف المنحرف والإنكار عليه والتحذير منه، وتبيين فساده وانحراف معتقِدِه، والإفتاء بضلاله وكُفرِه.

6-مساهمة العلماء المغاربة على مستوى القضاء:

لا يخفى على الباحث في تاريخ القضاء بالمشرق الإسلامي أن خِطة القضاء كانت تخضع للمذهب السائد في كل قطر إسلامي، وقد تبنى أهل مصر والشام مذهب الشافعي الذي تبناه سلاطين المماليك ومِن قبلهم الأيوبيين، ومع ذلك فقد شهد تغيرا ملحوظا في زمنهم، وبالضبط أثناء حكم الظاهر بيبرس (حَكم بين 658-676هـ/1260-1277م)، حيث قام سنة (663هـ/1265م) بجعل قضاء القضاة على أربعة مذاهب، الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي[2].

ومن المؤكد أن العمل في الجهاز القضائي جعل المغاربة من المالكية يتغلغلون في المجتمع المصري والشامي، ويُؤثرون فيه بصفة مباشرة نظرا لممارستهم خطة القضاء[3] التي لها علاقة وطيدة ومباشِرة بأفراد المجتمع، ومن ثم إثبات حضور المذهب المالكي وتوسيع دائرة انتشاره بينهم.

[1] (البقاعي، د.ت، ج01، ص157-158).

2 (القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، 1987، ج04، 351ص).

3 إبراهيم السامرائي، دراسات في اللغة ، مكتبة فلسطين ، ص301.

وقد حفلت كتب التاريخ بأسماء كثيرة لمغاربة مارَسوا هذه الخطة نذكر منهم أمثلة كالقاضي جمال الدين أبي عبد الله محمد بن سليمان بن سومر الزواوي (ت717هـ/1317م)، وُلد بالمغرب سنة (629هـ/1232م)، قدِم مصر واشتغل في طلب العلم على عدد من علمائها ثم انتقل إلى الشام، وأقام شعار مذهب الإمام مالك بها، تولى منصب قاض قضاة المالكية بدمشق لثلاثين سنة، أثبت من خلاله صرامة وَقُوّة في الأَحكام وَشدَّة فِي إِراقة دماء الملحدِين والزنادقة والمخالفين[1].

وكذلك الشيخ حسام الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن حريز المغربي الأصل ثم المنفلوطي المصري (ت873هـ/1468م)، لازم العِلم واشتغل فيه كثيرا حتى ارتقى لقضاء المالكية بالديار المصرية، فباشره بعفة ونزاهة وشهامة، كما تولى أخوه عمر بن أبي بكر (ت892هـ/1487م) هذا المنصب، وكان متصلِّبا في أمر دينه، محمود السيرة[2].

زد على هؤلاء أيضا نذكر الشيخ علي بن محمد التنسي (ت875هـ/1470م)، ففضلا عن تدريسه الفقه المالكي بمدارس[3] ومساجد مختلفة في مِصر فإنّه تولى منصب قضاء المالكية بالشام، وتحسّر الناس على فقدِه من الديار المصرية وتألّمُوا لذلك[4].

ومنهم القاضي جمال الدين الزواوي (717هـ-1317م) المالكي الزواوي من منطقة بجاية، رحل الى بلاد المشرق ، ودخل الإسكندرية سنة 645هـ ، فحدث بها وتفقه بها وبرع في مذهب مالك ، وصار عالم مصر وفقيهها، علي الهمة محدثان ثم عين قاضي المالكية في القاهرة بعد وفاة القاضي ابن شاش[5].

ثم انتقل الى الشام فدخلها سنة 687 هـ فتولى القضاء بها ما يقارب الثلاثين سنة، وكان صارما في احكامه، قال عنه الصفدي " لو رأه مالك رضي الله عنه رضي الله عنه لسره وأشهب لما ركب في إثره الا المجرة)[6].

وإلى جانب العمل في القضاء اشتغل القاضي جمال الدين الزواوي بمهمة تدريس المذهب المالكي الذي أقام شعاره، وظهر في أيامه ما لم يكن المالكية يعرفونه، وجدد مدارس عدة بدمشق كالمدرسة النورية.

1 ابن حجر، الدرة الكامنة في أعيان المئة الثامنة، د،ت، ج2،ص167

2 السخاوي ، المصدر السابق ، ج6، ص77.

3 أحمد عبد الحليم عطية، المرجع السابق، ص36.

4 (التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، ج2، ص337.

5 الذهبي، تاريخ الإسلام ، تح بشار عواد ، دار الغرب الإسلامي ،ج15، ص 451.

6 السيوطي، المصدر السابق،ج1، ص 545.

تولى أيضا التدريس بالمدرسة الصلاحية التي أنشاها الملك الناصر صلاح الدين ، تذكر المصادر التي ترجمت للقاضي جمال الدين ، انه كان ذا صرامة ومهابة ، كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر العسقلاني حيث قال " كان صارما مهيبا ، أراق دم جماعة تعرضوا للجناب المحمدي صل الله عليه وسلم "[1]

تنوعت العلماء والمعارف عند علماء المغرب الأوسط، بين علوم نقلية (مصدرها الوجي تهتم بعلوم الشريعة، والعلوم المساعدة لها، كاللغة والنحو والبلاغة .....وغيرها، وهذا النوع من العلوم هو الذي ساد بلاد المغرب الإسلامي، وانتقل تأثير علماء المغرب في هذا الباب من العلوم إلى المشرق الإسلامي، في شكل رحلات علمية للعلماء والفقهاء وطلبة العلم، وأيضا في شكل مؤلفات ترك العلماء في رحلاتهم تلك، وقد كان لها الأثر البارز في المشرق الإسلامي

اهتم المشارقة من جانبهم بهذه المؤلفات، وانكبوا على دراستها واستخراج كنوزها العلمية، وجعلوا منها مادة علمية لإنتاج مختلف المعاجم والموسوعات العلمية والفهارس وغيرها، وذلك لما احتوته من معلومات غزيرة وفوائد علمية نفيسة

كما ان علماء المغرب الإسلامي حضوا بكل أنواع التكريم والتبجيل لدي المشارقة عامة وخاصة، وتقلد الكثير منهم مناصب علمية مرموقة كالتدريس والافتاء والقضاء وغيرها

[1] عادل نويهض، المصدر السابق ، ص 165.

المبحث الثالث

اسهامات المغاربة في العلوم النقلية وكيف استفاد منها المشارقة

- دور الأطباء المغاربة بالمشرق ومؤلفاتهم
- علم الصيدلة والنباتات ببلاد المغرب و أثرها بالمشرق
- علم الفرائض والحساب
- الكتب المصدرية المغربية في كتابات المشارقة

يقول ابن خلدون عن العلوم العقلية (أما العلوم العقلية التي هي من طبيعته-العقل- من حيث انه ذو فكر غير مختصة بملة بل بوجه النظر إلى أهل الملل كلهم ويستوون في مداركها ومباحثها وهي موجودة في النوع الإنساني منذ كان عمران الخليقة وتسمى هذه العلوم علوم الفلسفة والحكمة)[1]ونالت العلوم اهتمام العلماء في مختلف العصور الإسلامية ذلك لصلة هذه بمفردات حياتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية والصحية[2] وغير ذلك.

ويشير أحمد أمين إلى إن (العلوم العقلية من طب ومنطق ورياضة ونحوها قد بدأت في الأمة الإسلامية منظمة لان الأدوار الأولى أدوار الأبحاث الجزئية كانت قد قطعت من أزمان بعيدة في أممها كاليونان والهند والفرس وكانت قد وصلت إلى مرحلة التنظيم والتدوين والتبويب، فلما نقلت في العصر العباسي إلى اللغة العربية نقلت بهيئتها الكاملة ولم تحتاج إلى إن تمر بالمراحل الطبيعية من جديد)[3]

لقد شهدت بلاد الشام في المراحل اللاحقة نشاطا علميا متميزا في ميدان العلوم العقلية لا يقل أهمية عن ذلك النشاط في العلوم الدينية واللغوية والاجتماعية، لقد حظيت هذه العلوم باهتمام العلماء وخير دليل على ذلك ما أنتجه العلماء من كتب علمية في ميادينها المختلفة فتقدمت العلوم وازدهرت وترعرع العلماء ودرجوا في ظل النظام الحاكم، لما حضوا فيه من عناية واهتمام، وازدهرت براعتهم في العلوم التي تخصصوا بها.

أ: دور الأطباء المغاربة بالمشرق ومؤلفاتهم

لغة : بطاء مثلثة هو علاج الجسم، والنفس، يقال: طَبَّهُ، طبّاً إذا داواه[4]

وأصل الطب الحذق في الأشياء، والمهارة فيها، ولذلك يقال لمن حذق بالشيء وكان عالمًا به: طبيباً[5].

وجمع الطبيب أطباء، وأطبَة، الأول جمع كثرة، والثاني جمع قلة[6].

1 ابن خلدون المقدمة، ص478.

2 السامرائي، خليل إبراهيم، دراسات في تاريخ الفكر العربي، جامعة الموصل، 1983، ص301.

3 أحمد امين ضحى الإسلام، القاهرة، 1939.ص 36

4 ابن منظور، المصدر السابق ج3،ص 553، للزبيدي المصدر السابق 1ج، ص 351،

5 لابن منظور نفسه ص،554.

6 البعلي، المطبع البهي، ص 267.

وتستعمل مادة طب في اللغة بمعنى سحر فيقال: فلان مطبوب: أي مسحور[1] ، وهذا على سبيل التفاؤل، فإن العرب تطلق بعض الألفاظ الدالة على السلامة، وتستعملها فيما يضادها من باب الفأل، فسموا اللديغ سليماً، والمهلكة مفازة، تفاؤلاً بالسلامة والفوز، وهكذا هنا سموا المسحور مطبوبًا.

كما تستعمل مادة طب في الدلالة على الشأن، والعادة، والدهر، فيقال: ما ذاك بطبي، أي بشأني، وعادتي، ودهري، وهو استعمال مجازي أيضًا[2].

هو "علم يعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يعرض لها من صحة وفساد ونُسب هذا القول لقدماء الأطباء، ولابن رشد الحفيد[3]، وقيل هو "علم بأحوال بدن الإنسان يحفظ به حاصل الصحة، ويسترد زائلها وينسب هذا القول لجالينوس[4]

1 ابن منظور، المصدر السابق ج1، ص 554.

2 ابن منظور، نفسه ، ص 555.

3 فيلسوف الوقت أبو الوليد ، محمد بن أبي القاسم أحمد ابن شيخ المالكية أبي الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي. قال ابن أبي أصيبعة في " تاريخ الحكماء " كان أوحد في الفقه والخلاف ، وبرع في الطب ، وكان بينه وبين أبي مروان بن زهر مودة ، وقيل : كان رث البزة ، قوي النفس ، لازم في الطب أبا جعفر بن هارون مدة ، ولما كان المنصور صاحب المغرب بقرطبة ، استدعى ابن رشد ، واحترمه كثيرا ، ثم نقم عليه بعد -يعني لأجل الفلسفة- وله " شرح أرجوزة ابن سينا " في الطب ، و " المقدمات " في الفقه ، كتاب " الحيوان "
مولده قبل موت جده بشهر سنة عشرين وخمسمائة ومات مات في صفر وقيل : ربيع الأول سنة خمس، (الذهبي ، المصدر السابق ج 21، ص308

4 جالينوس :من أشهر أطباء اليونان، وهو أحكم حكيم بعد أبقراط، كان فيلسوفاً، منطقياً، حكيماً. برع في الطب والفلسفة وهو ابن سبعة عشر سنة.
وذكروا أن الأصل كان في اسم جالينوس غالينوس، ومعناه الساكن أو الهادي، وقيل أن ترجمة اسم جالينوس معناه بالعربي الفاضل.
وقال أبو بكر محمد بن زكريا الرازي في كتاب الحاوي أنه ينطلق في اللغة اليونانية أن ينطق بالجيم غيناً وكافاً، فيقال مثلاً جالينوس غالينوس وكالينوس، وكل ذلك جائز، وقد تجعل الألف واللام لاماً مشددة فيكون ذلك أصح في اليونانية

عرف ابن خلدون علم الطب بقوله (صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض وصح فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والاغدية[1] بعد إن يتبين المرض الذي يختص كل عضو من أعضاء البدن وأسباب تلك الأمراض التي تنشا عنها وما لكل مرض من الأدوية مستدلين على ذلك بأمزجة الأدوية ...)، وكانت مهنة الطب موجودة منذ القدم عند المصريين والبابليين والآشوريين وغيرهم من شعوب العالم الأخرى.

وعرف العرب قبل الإسلام الطبابة التي تطورت تطورا بارزا مع ظهور الإسلام ونشأة الدولة العربية الإسلامية في مختلف مراحل تكويناتها السياسية، وان العرب والمسلمين اهتموا بالطب إلى جانب اهتمامهم البالغ بلغتهم ومعرفة إحكام شريعتهم، إما الطب في العصر الأموي بدأ يتأثر بالاتجاه اليوناني من خلال ترجمة المؤلفات الطبية من قبل الأطباء العرب والاستفادة من معلوماتها، وتطور الطب في العصر العباسي حيث كان اغلب النقلة من الذين تعلموا من مدرسة جند نيسابور بفارس[2] ولم يأخذ العرب الطب عن الفرس وإنما أخذوه من كتب اليونان مباشرة، ومن أشهر ناقلي كتب الطب بوحنا بن ماسويه (ت 242هـ/ 857م) وحنين بن إسحاق (ت 260هـ/ 873هـ)[3] وثابت بن قرة الحراني[4](ت 288هـ/ 901م) .

إن توجه المسلمين إلى مختلف العلوم ومن ضمنها الطب كان تلبية لمتطلبات المجتمع الصحية فضلا عن طموحاتهم العلمية، وهذا ما أدى إلى ارتفاع الحرية العلمية عموماً في العصر العباسي والمدة التي تلته، حيث احتل الطب مكانه متميزة كما أصبح للأطباء مقام عند المسؤولين يفوق في بعض الأحيان مقام الوزراء.

---

1 ابن خلدون ، المرجع السايق ، ص301

[2] ابن النديم، محمد بن إسحاق(ت 385هـ/ 995م) الفهرست، تحقيق إبراهيم رمضان، بيروت، 1987، ص412

[3] حُنين بن إسحق هو أبو زيد حنين بن إسحاق العَباديّ،[١] ولد في منطقة الحيرة القريبة من مدينة بغداد في العراق عام 808م، وتوفّي عام 873م في مدينة بغداد، هو باحث عربي، له ترجمات عديدة لكبار الفلاسفة أمثال أفلاطون، وأرسطو، وأبقراط، وبفضله استطاع الفلاسفة والعلماء العرب الوصول إلى المصادر المهمة من الفكر والثقافة اليونانية، درس حُنين بن إسحق الطبّ في مدينة بغداد، ثمّ أصبح بعد ذلك متمكّناً من اللغة اليونانية القديمة، انظر ابن أبي الأصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، صفحة 205-206. بتصرّف

4 الصابئ ، الشقي ، الحراني ، فيلسوف عصره كان صيرفيا ، فصحب ابن شاكر ، وكان يتوقد ذكاء ، فبرع في علم الأوائل ، وصار منجم المعتضد ، فكان يجلس مع الخليفة ، ووزيره واقف ، ونال من الرئاسة والأموال فنونا.

قال ابن أبي أصيبعة : لم يكن في زمانه من يماثله في الطب وجميع الفلسفة . وتصانيفه فائقة ، أقطعه المعتضد ضياعا جليلة.

ومن تلامذته : عيسى بن أسيد ، النصراني المشهور.

قلت : كان عجبا في الرياضيات ، إليه المنتهى في ذلك ، وكان ابنه إبراهيم رأس الأطباء ، وكذلك حفيده ثابت بن سنان الطبيب ، صاحب " التاريخ " المشهور . ماتوا على ضلالهم ، ولهم عقب صابئة ، فابن قرة هو أصل رئاسة الصابئة المتجددة بالعراق فتنبه الأمر.

مات سنة ثمان وثمانين ومائتين انظر الذهبي ، المصدر السابق ج 3 ص 486 .

و الجديد بالذكر إن الممارس لمهنة الطب يخضع لامتحان ومراقبة مستمرين لإثبات كفاءته ومهمة المراقبة تقع ضمن مسؤوليات المحتسب. فعلى الطبيب اجتياز الامتحان بكتاب(مهنة الطبيب) لحنين بن اسحاق فضلاً عن كتب أخرى، وان يأخذ عهد ابقراط[1]، ولذلك كان على المحتسب في الدولة العربية الإسلامية إن يتولى مراقبة الصنائع كافة ومنها الطب، ومن اجل إن يمارس الطبيب مهنته بصورة صحيحة مع عدم ايذاء المريض وضعت شروط صارمة على من يزاول هذه المهنة وهي حصوله على تصريح رسمي (أجازة) من أستاذ يشهد له بعلمه وكفاءته فضلاً عن قسمَ اليمين.

أخذ المجال الطبي مكانة مرموقة في المدة التي نحن بصددها، ولاسيما إن الحكام من الأيوبيين والمماليك كانوا قد احتضنوا الأطباء وقدموا لهم الدعم الذي يستحقونه، وقد يكون ذلك سببا في دفع الكثير للتوجه نحو بلاد الشام ومنهم المغاربة الذين استغلوا فيه بكثافة، ورغم أنهم لم يأتوا باكتشاف يمكن اعتباره جديداً في بلاد الشام، على الرغم من إن معظمهم كانوا على درجة عالية من المعرفة الطبية، ولكن يأتي أهمية الدور الذي شغلوه في هذا الميدان من خلال الخدمات الجليلة التي قدموها للمجتمع الشامي في أصعب الظروف وأحوجها إلى خدماتهم ورعايتهم في عصر صلاح الدين الأيوبي، حينما كان يخوض حربه المقدسة من اجل تحرير بيت المقدس وغيرها من مناطق الساحل الشامي من دنس الاحتلال الصليبي، فقد قدَر لبلاد الشام إن تحتضن أنماط رفيعة المستوى من الأطباء المغاربة في المدة التي نحن بصددها، وثاني قيمة هؤلاء الأطباء أنهم شغلوا مراكز كانت لها اكبر الأثر في رفد المجتمع الشامي بالأطر الطبية المؤهلة، فضلاً عن اشتراكهم في الحرب كأطباء في الجيش الأيوبي، وأطباء في مدينة دمشق التي كانت حينذاك محور استقطاب كل الفعاليات باعتبارها قاعدة التحرير. ونذكر منهم الطبيب أبو الفضل بن عمر الغساني[2] الذي خدم الأيوبيين فترة طويلة من الزمن، كان معظمها في ساحات الحرب والمعارك التي دارت بين المسلمين والفرنجة في ارض فلسطين في الربع الأخير من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي وهو يشبه في عمله هذا إلى كبير رئيس المجموعة الطبية، التي ترافق القادة

[1] و أبو الفضل عبد المنعم بن عمر بن عبد الله الجلياني الغساني الأندلسي. طبيب وشاعر وأديب ومتصوف، لقب بحكيم الزمان. أصله من جليانة، وهي حصن من أعمال (وادي آش) بالأندلس. ولد وترعرع بمدينة غرناطة سنة 531 هـ [2]، انتقل إلى القاهرة في سبيل طلب العلم، ثم بعدها سار إلى دمشق وسكنها مدة [3]، ثم سافر إلى بغداد فدخلها سنة 601 ونزل بالمدرسة النظامية. وكانت معيشته من الطب، يجلس على دكان بعض العطارين، وهناك التقى به المؤرخ والجغرافي العربي الكبير ياقوت الحموي. توفي بدمشق سنة 603 هـ، وبعض المؤرخين يؤرخون سنة وفاته في 602، له عدة كتب منها ديوان الحكم وميدان الكلام، والثاني: ديوان المشوقات إلى الأعلى، والثالث: ديوان أدب السلوك، والرابع: كتاب نوادر الوحي، وهو يشتمل على كلام حكمة مطلق يشتمل في غريب معان من القرآن العظيم، ومن حديث الرسول عليه أفضل السلام والتسليم. والخامس كتاب تحرير النظر، والسادس كتاب سر البلاغة وصنائع البديع في فصل الخطاب. والسابع: ديوان المبشرات والقدسيات وغيرها ،انظر ابن ابي أصبعية عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 217-218

العسكرية. وكان (علاّمة زمانه في صناعة الكحل وإعمالهما بارعاً في الأدب وصناعة الشعر وعمل المديحات).

كما وصل قسم منهم إلى رئاسة المستشفيات بمدينة دمشق، فضلاً عن أنهم كانوا يشكلون مجموعة مؤهلة للقيام بعملية التدريب في كثير من المدن الشامية على ما يحدث في المستشفيات المركزية، فكانوا يخصصون وقتاً معينا لهذه الغاية، على الرغم من كثرة مشاغل بعضهم وضيق وقتهم، ومن هؤلاء الطبيب الأندلسي أبي المجد بن أبي الحلم،الذي كان يمثل صورة ناطقة لعمل مشاهير الأطباء في المستشفى (البيمارستان)[1] وقد نقــل لنا ابن أبي أصيبعة جانباً من برنامجه اليومي الذي يبدأ بتفقد المرض والتعرف على أحوالهم وتتبع حالتهم وبعدها يصف لهم الدواء، وكان يرافقه في ذلك المشرفين والمهتمين بالمرضى ثم يتجه بعد ذلك إلى الديوان الكبير الذي في المستشفى حيث تجري مباحثات طبية، وخلال ذلك كان التلاميذ ينهلون من علم أساتذتهم، وقد تخرج على يده مجموعة من التلاميذ منهم كامل الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب (المطبعة المارونية، حلب 1923عبد الكريم[2]،الذي أصبح من الأطباء المرموقين ومما يدل على براعته في علوم الطب مؤلفه المرسوم (كتاب الأدوية المفردة) المرتب بحسب تسلسل الحروف الأبجدية.

وقد نحى أبو الحجاج يوسف(نفس المنحى في حلب حيث جلس لصناعة الطب والتدريس فضلاً عما تركه من الكتب منها رسالة في ترتيب الأغذية اللطيفة والكثيفة في تناولها، شرح الفصول لأبقراط وكذلك أبو الحكم عبيد الله بن المظفر بن عبد الله [3]وغيرهم، ولقد امتهن المغاربة الطب ببلاد المشرق

1 بيمارَستان: (اسم) البِيمارَسْتانُ : المستشفى (فارسي معرب)، بيمارستان Bimaristan هي كلمة تعني مستشفى أصلها فارسي معناها محل تجمع. كانت البيمارستانات في العصور الوسيطة دورا للعلاج و معاهد لتدريس الطب. وكانت البيمارستانات مستشفيات عامة تعالج فيها الأمراض الباطنية و الرمدية و العقلية و تمارس فيها العمليات الجراحية، إلى أن تدهورت أحوالها و أهملت و هجرها المرضى فما عادت تستخدم إلا لعزل المجانين، و صارت كلمة مارستان/مورستان تعني مأوى المجانين، انظر كامل الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب (المطبعة المارونية، حلب 1923،ص 135.

2 مؤيد الدين أبو الفضل محمد بن عبد الكريم ابن عبد الأمن الحارثي، مولده ومنشؤه بدمشق، وكان يعرف بالمهندس لجودة معرفته بالهندسة وشهرته بها قبل أن يتحلى بمعرفة صناعة الطب، وكان في أول أمره نجارًا وينحت الحجارة أيضاً، وكان تكسبه بصناعة النجارة، وله يد طولى فيها، والناس كثيرًا ما يرغبون إلى أعماله، وأكثر أبواب البيمارستان الكبيرة الذي أنشأه الملك العادل نور الدين ابن زنكي رحمه اللَّه من نجارته وصنعته أخبرني سديد الدين بن رقيعة عنه أنه أخبره بذلك، وحدثني شمس الدين بن المطواع الكحال عنه، وكان صديقًا له أن أول اشتغاله بالعلم أنه قصد إلى أن يتعلم أوقليدس ليزداد في صناعة النجارة جودة ويطلع على دقائقها ويتصرف في أعمالها، قال وكان في تلك الأيام يعمل في مسجد خاتون الذي تحت المنيبع غربي دمشق، فكان في كل غداة لا يصل إلى ذلك الموضع إلا وقد حفظ شيئًا من أوقليدس، ويحل أيضًا منه في طريقه، وعند فراغه من العمل، إلى أن حل كتاب أوقليدس بأسره، وفهمه فهمًا جيدًا وقوي فيه، ثم نظر إيضًا في كتاب المجسطي، وشرع في قراءته وحله، وانصرف بكليته إلى صناعة الهندسة وعرف بها، واشتغل أيضًا بصناعة النجوم وعمل الزيجات، وكان قد ورد إلى دمشق ذلك الوقت الشرف الطوسي ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج 6، ص 75

وإن كان الطب في ذلك الزمن ليس بالصورة التي هو عليها الأن ومن أشهرهم أبو عثمان الحكيم المغربي[1]، وتذهب كثير من الاقوال على أنه سعيد بن عبد الله الزواوي المليانى (ت سنة 700هـ – 1332م) والذي جاور بمكة المكرمة سنين طويلة ومات بها في في بداية القرن الثامن الهجري، وكان عالما بمهنة الطب ، ونقلت عه روايات عجيبة ساقها اهل مكة ، تدل على تمرسه بالطب وعلو كعبه فيه وفهمه الدقيق له.

ب: علم الصيدلة والنباتات ببلاد المغرب و أثرها بالمشرق

وهو علم يبحث عن تميز المتشابهات بين إشكال النباتات من حيث أماكنها ومواسم نموها وكذلك تميز الجيد من الردئ ومعرفة خواصها، وهو بالضرورة تابع لعلم الطب.وكان العرب أول من اعترف بالصيدلة كمهنة وعلم مستقل، تقول هونكة[2]: (هنا انقسمت مسؤولية الطبيب الصيدلاني إلى قسمين وتفرعت عنها مهمتان قائمتان بذاتهما وقد جرى كل هذا عند ابتداء تفتح الطب الإسلامي العربي).

وفي زمنهم ظهرت لأول مرة الصيدليات الخاصة وكان المسلمون أول من أنشأ مخازن الأدوية وقد حضيت الأدوية للمراقبة الشديدة من اجل حماية المريض من غش الصيادلة وتلاعبهم، ووقعت هذه المهمة على عاتق المحتسب، كما كان الصيادلة يخضعون لامتحان منه

وكان للمغاربة دور مهم في العلوم الصيدلانية، فقد كان لبعضهم دور السبق في اكتشاف العديد من المواد الدوائية التي لم تكن معروفة في بلاد الشام ولا حتى في غيرها من البلدان والتي لم يذكرها احد من

1 الإمام القدوة ، شيخ الصوفية أبو عثمان ، سعيد بن سلام المغربي القيرواني ، نزيل نيسابور ، افر وحج ، وجاور مدة ، ولقي مشايخ مصر والشام . وكان لا يظهر أيام الحج قال الحاكم : خرجت من مكة متحسرا على رؤيته ، ثم خرج منها لمحنة ، وقدم نيسابور ، فاعتزل الناس أولا ، ثم كان يحضر الجامع . وقال السلمي : كان أوحد المشايخ في طريقته ، لم نر مثله في علو الحال وصون الوقت ، امتحن بسبب زور نسب إليه ، حتى ضرب وشهر على جمل ، ففارق الحرم . قال الحاكم : سمعته يقول - وقد سئل : الملائكة أفضل أم الأنبياء ؟ فقال : القرب القرب ، هم أقرب إلى الحق وأطهر.

2 المستشرقة الألمانية "زيغريد هونكة" من أشهر المدافعين عن الإسلام في الغرب، فهي أول باحثة أوروبية تفند الأحكام المغلوطة والتهم الملفقة التي يلصقها الغرب بالعرب والمسلمين، ولهذا حرص المسلمون على تكريمها كلما زارت دولة إسلامية، وصار لها مكانة كبيرة في نفوس العرب والمسلمين. هي من المستشرقين المنصفين الذين درسوا الحضارة العربية والإسلامية، وفهموا حقيقة الإسلام، وأشادوا به كدين عالمي صالح لكل زمان ومكان، وقد أصدرت عام 1960م كتابها الشهير "شمس الإسلام تسطع على الغرب"، دفاعا عن الحضارة الإسلامية، وبيانا لتأثيرها في العالم الغربي، وترجم هذا الكتاب إلى 17 لغة، وبيعت منه مليون نسخة، ثم نشرت كتابا آخر بعنوان "ليس الله كما يزعمون" توفيت فى نوفمبر 1999م عن عمر يناهز 83 عاما انظر : نعيمة عبد الفتاح ناصف ، زينغريد هونكة مستشرقة من الطراز الفريد، ص7

الصيادلة من قبل ويتصدر هؤلاء الصيدلي المغربي ضياء الدين ابن البيطار[1]، الذي زار مناطق كثيرة وآلف كتابه المشهور (الجامع في الأدوية المقررة) وقد جمع فيه أكثر من أربعمائة وألف دواء مرتب على حروف المعجم منها ثلاثمائة لم توجد في أي كتاب آخر، ومنها ما عرف من قبل اليونان ولاسيما ما ورد منها في كتاب ديسقور بردس (Dioskryrides)الذي شرحه ابن البيطار بنفسه ومنها ما ورد في كتاب هندي عرف باسم سرسردندان[2]، وقد عّده البعض من أكمل ما صنعه الغرب في هذا الميدان، واستفادت منه طلبة العلم في بلاد الشام، ومن ابرز من استفاد منه الطبيب الدمشقي ابن أبي أصيبعة[3] الذي حرض على مرافقته في البحث على نوعية الإعشاب الدوائية في غوطة دمشقوما حولها

وكانت معظم العقاقير والأدوية توجد في قصور الحكام، والتي عرفت بخزانة الشراب أو الشراب خانه، وهي نفس كلمة شراب هذه انتقلت عند الأوربيين ودخلت لغتهم مثل كلمة (sirop)الفرنسية، كذلك كانت العقاقير توجد في دكاكين سوق العطارين التي تحتوي على نباتات ضرورية من صنع العقار، إذ كان اغلب العقاقير تحّضر من الإعشاب الطبيعية، وخير مثال على ما نقول الطبيب المغربي عمر بن علي البذوخ[4]،الذي قدّم خدمات جليلة للمجتمع الدمشقي خلال فترة وجوده بدمشق، فقد اقتصر نشاطه الطبي على خدمة عامة الناس، فقد كانت له دكان (عيادة) عطر في اللباديين بدمشق القديمة، يرتادها الناس للاستشارة الطبية، فكان إضافة إلى انه يقوم بتشخيص المرض وتعيين أسبابه ومواضعه، فانه

1 ولدَ أبو عمران موسى بن عبد الله المعروف بابن ميمون القرطبي أو الأندلسي أو المغربي أو الإسرائيلي١ في قرطبة سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م، وكان والده عالمًا إسرائيليًّا مشهورًا وعضو المحكمة الطائفية بالمدينة. فتتلمذ ابن ميمون على يديه، وعندما استولى الموحِّدون على قرطبة سنة ٥٤٢هـ/١١٤٨م اضطرَّ ابن ميمون أن يهجرها مع عائلته، فرحلوا إلى مراكش في مدينة فاس، وأثناء تنقلاته في الأندلس وفي المغرب لم يتوقَّف 1-ابن ميمون عن الدرس والتحصيل، فبجانب تفقهه في الديانة الإسرائيلية بدراسة التوراة والتلمود انكبَّ على دراسة أرسطو مفسريه من اليونانيين والعرب، كما أنه نهل من الكتب الطبية لأبقراط وجالينوس والرازي وابن سينا وغيرهم من الأطباء المشهورين. ولما اشتدَّت وطأة الظروف القاسية في مراكش استأنفت عائلة ابن ميمون مرة أخرى ترحالها ومضت نحو الشرق عام ١١٦٥م، وانتهى بها المطاف إلى مصر حيث كان اليهود يتمتعون حينذاك بحرية كبيرة أيام الخليفة الفاطمي العاضد، واستوطنت في الديار المصرية وسكنت بالفسطاط حوالي ١١٦٦م.

2 - حكيم الزمان أبو الفضل بن عمر بن عبد الله بن حسان الغساني الجلياني، ابن أبي اصيبعة، موقف الدين العباسي احمد بن قاسم (ت 668هـ)، عيون الإنباء في طبقات الأطباء، وصححه محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ص583 وما بعدها

3 بن البذوخ هو أبو جعفر عمر بن علي القلعي المغربي، الطبيب العارف بتركيب الأدوية والمولود في قلعة بني حماد أو في محيطها وذلك في القرن الخامس الهجري (الثاني عشر الميلادي)، وهذه القلعة كانت العاصمة الأولى لدولة الحماديين الصنهاجيين وذلك قبل انتقالها إلى مدينة بجاية (الجزائر). نتقل ابن البذوخ -والذي كان كاتباً و شاعراً أيضاً- إلى دمشق وأقام سنين عديدة حتى وافته المنية فيها. أثر ابن البذوخ وتعلَّق كثيراً بما قدَّمه العلماء السابقون من مساهمات في مجال الطب والأدوية، وقد علَّق على بعض تلك المؤلفات، ومن ذلك كتابته:

- شرحاً لكتاب الفصول لأبقراط الإغريقي الطبيب الشهير.
- أرجوزة شرح كتاب تقدمة المعرفة لأبقراط أيضاً.
- أرجوزة كتاب ذخيرة المفرد في التأليف من الأشباه.
- حواش على كتاب القانون في الطب للطبيب الموسوعي العملاق ابن سينا. انظر ابن ابي اصبيعة ، المصدر السابق.

كان يعطي الدواء المناسب للمرض الذي كان من صنع يده، حين كان يهيئ عنده أدوية مركبة يصفها لسائر للمراجعين ويبيع منها وينفع الناس بها، فضلاً عن اهتمامه بالكتب الطبيعية والنظر فيها وله حواشي على كتاب القانون لابن سينا.

ساهم عالم النبات المعروف **بابن الرومية**، وهو أبو العباس أحمد بن ابي عبد الله بن محمد بن مفرح الاموي الاشبيلي (ت 637هـ- 1239م)[1] والذي رحل للمشرق وبالضبط لمدينة تكريت بالعراق ودون ما علم هناك، وكان بالإضافة لذلك عالما بالحديث، وعالم النبات الأوحد ببلاد المغرب ، عالما بالأعشاب الطبية ، أدى فريضة الحج، وحصل مختلف العلوم في رحلته تلك، خاصة ما ارتبط بعلم النبات، وألف ببلاد المشرق كتابه برنامج (فهرسة)[2]، وقد استند اليها عبد الملك الانصاري المراكشي في ترجمته لابن الرومية[3] ، وقد دون بهذه الفهرسة حصيلة رحلته في بلاد المشرق وسماها " الرحلة " وهو مفقود كبقية كتبه ، ولم يبق منها الا النزر اليسير مذكورة عند ابن البيطار في كتابه " الجامع لمفردات الادوية والأغذية"

[1] القلصادي، رحلة القلصادي، ص 70.

[2] الفهرسة، يعتبر ابن النديم أول من وضع أساس علم الفهرسة والتصنيف، الذي ترتب بمقتضاه الكتب ويصلح أساسا لتنظيمها في المكتبات، كما أنه أول من وفق إلى التصنيف العشري، وذلك أنه جعله أساس تصنيفه للكتب، وما تحتويه من معرفة، فجعله من عشر مجموعات، تحتوي كل مجموعة منها موضوعا عاما يندرج تحته كثير من العلوم، وأطلق على كل مجموعة من المجموعات العشر اسم "مقالة" ثم قسم كل مقالة منها إلى فروعها، وسمى كل فرع منها "فنا".

3 ابن الرومية ، الشيخ الإمام الفقيه الحافظ الناقد الطبيب أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج الإشبيلي الأموي ، مولاهم ، الحزمي الظاهري النباتي الزهري العشاب، ولد سنة إحدى وستين وخمسمائة، ال أبو عبد الله الأبار كان ظاهريا متعصبا لابن حزم ، بعد أن كان مالكيا . قال : وكان بصيرا بالحديث ورجاله ، وله مجلد مفيد فيه استلحاق على " الكامل " لابن عدي ، وكانت له بالنبات والحشائش معرفة فاق فيها أهل العصر ، وجلس في دكان لبيعها . سمع منه جل أصحابنا وقال ابن نقطة : كتبت عنه ، وكان ثقة ، حافظا ، صالحا، وقال المنذري سمع ابن الرومية ببغداد ، ولقيته بمصر بعد عوده ، وحدث بأحاديث من حفظه بمصر ، ولم يتفق لي السماع منه ، وجمع مجاميع. قلت : له كتاب " التذكرة " في معرفة شيوخه ، وله كتاب " المعلم بما زاد البخاري على مسلم " مات فجاءة في سلخ ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وستمائة ورثي بقصائد .

علم الفرائض والحساب :

هذا العلم له ارتباط وثيق بالعلوم الشرعية إذ به تعرف قسمة المواريث ونصاب الزكوات المختلفة ، وممن اشتهر في هذا العلم وبرع فيه من المغاربة ببلاد المشرق أبو الحسن علي بن محمد بن فرحون القيسي القرطبي (ت :603 هـ – 1233م) وكان بارعا بالحساب ، نزل مكة المكرمة وجاور بها حتى جاءته المنية وبها ألف كتابه في علم الحساب الموسوم (لب اللباب في مسائل الحساب) وهو كتاب نفيس في بابه.

ومنهم أيضا احمد بن يونس بن سعيد القسنطيني[1] (ت 878هـ-1521م) نزل المدينة ثم انتقل الى مكة المكرمة وجاور بها ، وتزوج هناك، وتفرغ لتعليم العربية والحساب وعلوم المنطق وعلم الكلام ، فاستفاد مه أهل مكة والقادمين إليها وله مصنف مفقود ذكره السخاوي في اللمع .

وأما بخصوص بقية الفروع الأخرى من العلوم العقلية البحتة، كالكيمياء والهندسة والفلك وغيرها، فان المغاربة نزلاء بلاد الشام والحجاز وغيرها من الامصار لم يشتهروا بشكل يسمح للمرء أن يسجل الخدمات والفوائد التي قدموها للمجتمع المشرقي كله، وهذا الأمر لايعود إلى قصورهم العقلي على هذا الصعيد بقدر ما يعود إلى عدم الاهتمام بها لا سيما وان بعضها لم يكد يرحب بها كالكيمياء على سبيل المثال في بلاد الحجاز والشام، وذلك لان الفقهاء اعتبروه في هذه البلاد من إعمال السحر والشعوذة التي لا يسمح بها الشرع الإسلامي، ومع ذلك فقد ظهرت عند بعضهم بوادر طيبة، أسفرت عن بعض الابتكارات الجديدة التي لم يقدّر لها إن تتطور وتنتشر، مما جعل الفائدة منها معدومة في حياة بلاد الشام العلمية العامة،

[1] احْمد بن يُونُس بن سعيد بن عِيسَى بن عبد الرَّحْمَن بن يعلى بن مدافع بن خطاب بن عَليّ الشهَاب الْحِمْيَرِي القسنطيني المغربي الْمَالِكِي نزيل الْحَرَمَيْنِ وَيعرف بِابْن يُونُس. ولد فِي سنة ثَلَاث عشرَة وَثَمَانمِائَة بقسنطينة، وَنَشَأ بهَا فحفظ الْقُرْآن والرسالة، وتفقه بِمُحَمد بن مُحَمَّد بن عِيسَى الزلدوي وَأبي الْقسم الْبُرْزُلِيّ وَابْن غُلَام الله القسنطيني وقاسم بن عبد الله الهزبري، وَكَانَ إِمَامًا فِي الْعَرَبِيَّة والحساب والمنطق مشاركا فِي الْفِقْه والأصلين والمعاني واليبان والهيئة مَعَ إِلْمَام بِشَيْء من عُلُوم الْأَوَائِل عَظِيم الرَّغْبَة فِي الْعلم والإقبال على أَهله قَائِما بالتكسب خَبِيرا بالمعاملة ممتهنا لنَفسِهِ بمخالطة الباعة والسوقة من أجلهَا وَلم يزل مُقيما بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّة حَتَّى مَاتَ فِي شَوَّال سنة ثَمَان وَسبعين وَدفن بِالبَقِيعِ رَحمَه الله، انظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي

نذكر منها تلك التي تجسدت بصنع عدة آلات هندسية صممها الطبيب المغربي نزيل دمشق يحيى البياسي[1]،

وأهداها لأستاذه ابن النقاش[2]يظهر مما تقدم إن الجالية العلمية المغربية ساهمت إلى حد كبير في استمرار الزخم العلمي الحضاري على مختلف فروعه، وذلك من خلال التدريس والتأليف ونقل الكتب المغربية ذات الشهرة الكبيرة فقد بلغ عدد الكتب التي ألفها رجال هذه الفئة من المغاربة وغيرهما من العاملين في المساجد والزوايا المالكية الخاصة أكثر من مئة وخمسين كتاباً كان بعضها جديد ومبتكر في القراءات والنحو والصرف والصيدلة والتصوف، فضلاً عن عدد كبير من المؤلفات الغربية، كان قد نقلها بعضهم إلى الشام، فتلاقت بذلك الخبرة المغربية مع الخبرة الشامية، واتحدت لتؤلف ذخراً علماً، ما زال بعضه يشغل أهمية خاصة للفترات طويلة. كما إن عدد من الطلبة تخرجوا على يد العلماء المغاربة في مختلف الاختصاصات من الذين شغلوا مراكز قيادة عالية في مجال العلم والإدارة وبذلك، ووصل الأمر ببعض هؤلاء إلى أنهم تفوقوا على أساتذتهم في كثير من الأحيان، فضلاً عن آخرين لم يشتهروا إلى الحد الذي وصل إليه هؤلاء الذي ذكرتهم كتب التراجم.

الكتب المصدرية المغربية في كتابات المشارقة

استفاد الكثير من المشارقة من مؤلفات المغاربة اهل الاندلس ، وقاموا بتوظيفها كمراجع في مؤلفاتهم العلمية، اذ لا يكاد يخلو كتاب او مؤلف مشرقي من معلومة مستقاه من من كتب اهل المغرب ، ولقد تنوعت هذه الكتب بحسب الفنون التي ألفت فيها من تاريخ وكتب انساب وتراجم وسير وبرامج وفهارس وغيرها ، وشملت العلوم السائدة كلها في ذلك الزمن حتى المؤلفات في ميادين اللغة والادب والطب ولنأخذ المؤرخ والنسابة ابن خلكان في كتابه وفيات الاعيان كمثال على ذلك.

---

[1] وَكَانَ نجم بن طرفه صَاحب البيازرة قد استخلصه لنَفسِهِ وَقَامَ بِهِ وأغناه وشاركه فِي كل دُنْيَاهُ وَلم يطلّ عمره[أصبغ بن يحيى]كَانَ مُتَقَدما فِي صناعَة الطِّبّ وخدم بهَا النَّاصِر وَألف لَهُ حب الأنيسونوَكَانَ شَيخا وسيما بهيا سريا مُعظما عِنْد الرؤساءمُحَمَّد بن تمليحكَانَ رجلا ذَا وقار وسكينة وَمَعْرِفَة بالطب والنحو واللغة وَالشعر وَالرِّوَايَةوخدم النَّاصِر بصناعة الطِّبّوَكَانَ الْمُقِيم برئاسته أَحْمد بن إلْيَاس الْقَائِد وولاه النَّاصِر خطْبَة الرَّد الطِّبّقَالَ القَاضِي صاعد وولاه النّظر فِي بُنيان الزِّيَادَة من قبلي الْجَامِع بقرطبة فَتَوَلَّى ذَلِك وكملت تَحت أشرافه وأمانتهوَرَأَيْت اسْمه مَكْتُوبًا بِالذَّهَب وَقطع الفسيفساء على حَائِط الْمِحْرَاب بهَاوَإِن ذَلِك الْبُنيان كمل على يَدَيْهِ عَن أَمر الْخَلِيفَة الحكم فِي سنة ثَمَان وَخمسين وثلثمائةولمحمد بن تمليح من الْكتب كتاب فِي الطِّبّ

2 مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن عَليّ بن عبد الْوَاحِد بن يُوسُف بن إِبْرَاهِيم بن عبد الرَّحِيم أَبُو أُمَامَة بن الزين أبي هُرَيْرَة بن الشَّمْس أبي أُمَامَة الدكالي الأَصْل القاهري الشَّافِعِي وَيعرف كسلفه بِابْن النقاش، ذكره شَيخنَا فِي إنبائه فَقَالَ: اشْتغل قَلِيلا وَهُوَ شَاب ثمَّ صَار يخالط الْأُمَرَاء فِي تِلْكَ الْفِتَن الَّتِي كَانَت بعد وَفَاة برقوق فجرت لَهُ خطوب وَقد خطب نِيَابَة عَن أَبِيه بِجَامِع طولون، وَحج مرَارًا وجاور وتمشيخ بعد وَفَاة أَبِيه فَلم ينجب وأصابه فالج فِي أَوَائِل سنة وَفَاته ثمَّ مَاتَ فِي يَوْم الثُّلَاثَاء سادس عشري شعْبَان سنة خمس وَأَرْبَعين وَقد قَارب السّبْعين وَدفن بِجَانِب أَبِيه بِبَاب القرافة رَحمَه الله.انظر '(السخاوي الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ج5، 123.).

كتاب تاريخ القيروان : لصاحبه – عبد العزيز بن شداد الصنهاجي- واسم الكتاب بالكامل (الجمع والبيان في أخبار القيروان[1] ومن كان فيها من سائر المغرب من الملوك والاعيان) وهو مصدر نادر ومهم جدا ، وقد نقل منه المؤرخ المقريزي، وجعله العمدة في التعريف والترجمة للخلفاء العبيديين وأيضا من خلاله عرف بصاحب الدعوة الموحدية – المهدي ابن تومرت، مكي بن طالب[2]

الكتاب الثاني الذي استفاد منه ابن خلكان في ترجمة الاعلام في كتابه .

كتاب العقد الفريد : هو كتاب ذو صبغة أدبية يحكي التاريخ السياسي للأندلس من فترة الأمير عبد الرحمان الداخل الى عهد الأمير الناصر ، وكانت جل استفادة ابن خلكان من هذا الكتاب في ميدان الادب والمواضيع الخاصة بشخصية الوزير ابن الزيات[3] وتاريخ الحجاج بن يوسف الثقفي[4] والحسن بن علي ..... واسم صاحب الكتاب الكامل هو ابي عمر أحمد بن عبد ربه بن حبيب بن حيدر بن سالم المتوفى سنة 328هـ- 939م.

كتاب طبقات الأطباء والحكماء: هو كتاب لأبي داود سليمان بن حسان الاندلسي المتوفى سنة 348هـ- 959 م، في هذا الكتاب سير وتراجم الكثير من من الأطباء والعلماء والصلحاء مرتب ومبوب على تسع طبقات ، وتختص كل طبقة بعنوان وهو مصدر يؤرخ للأطباء والطب وان كان استعمال ابن خلكان له نادر جدا.

كتاب تاريخ علماء الاندلس: لابن الفرضي واسمه الكامل هو أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الازدي كانت وفاته سنة 403هـ-1012 على ما نقله الذهبي في السير ، وبالكتاب ترجمة لأكثر من الف وخمس مئة (1500) لأناس من مختلف المدن الاندلسية من بداية وصول المسلمين اليها وحتى بداية القرن الحادي عشر وكان اعتماد ابن خلكان عليه في تراجم لبعض سير علماء الاندلس.

---

[1] السامرائي ، دراسات في التاريخ الاسلامي، ص301

[2] ابومحمد بن ابي طالب بن حمو بن محمد بمن ختار القيسي المقرئ، ولد بالقيروان وتوفي سنة 437هـ- 1045 م بقرطبة ، كان عارفا بالقراءات وعلم الحساب ، له عدة مؤلفات (ابن خلكان، د ت، تحقيق احسات عباس ، ج5 ، ص 247.)

3 أبو جعفر محمد بن بن عبد الملك بن ابان بن حمزة المعروف بابن الزيات ، وزير الخليفة العباسي المعتصم (ت233هـ- 847م) (ابن خلكان ، نفسه،ج 5، ص157.)

4 الحجاج بن يوسف الثقفي ،أهلكه الله في رمضان سنة خمس وتسعين . كهلا ، وكان ظلوما ، جبارا ، ناصبيا ، خبيثا ، سفاكا للدماء ، وكان ذا شجاعة وإقدام ومكر ودهاء ، وفصاحة وبلاغة ، وتعظيم للقرآن . قد سقت من سوء سيرته في تاريخي الكبير ، وحصاره لابن الزبير بالكعبة ، ورميه إياها بالمنجنيق ، وإذلاله لأهل الحرمين ، ثم ولايته على العراق والمشرق كله عشرين سنة ، وحروب ابن الأشعث له ، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله . فنسبه ولا نحبه ، بل نبغضه في الله ؛ فإن ذلك من أوثق عرى الإيما،. وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه ، وأمره إلى الله ، وله توحيد في الجملة ، ونظراء من ظلمة الجبابرة والأمراء، الذهبي ، المصدر السابق ،ج 4، ص 443.

كتاب العروس في تواريخ الخلفاء: للحافظ شيخ الظاهرية ببلاد المغرب المصنف المتفرد صاحب التصانيف البديعة والكتب النافعة الجليلة ابن حزم الظاهري[1]

جمع في كتابه هذا طرف من أخبارا مراء المسلمين بالمشرق والمغرب وقد رتبها وبوبها بمقتضى مع يجمع هذه الشخصيات من قواسم مشتركة ومن من عرف بهم وذكر سيرهم في كتابه هذا هشام المؤيد[2] والمعتمد ابن عباد[3] ملك اشبيلية.

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : هو كتاب نفيس في بابه لصاحبه الشنتريني[4] أبو العباس علي بن بسام المتوفى سنة 542هـ- 1147 م ، الكتاب موسوعة بذاتها في التاريخ والادب حوت تاريخ واثار القرن الخامس الهجري في أربعة أبواب تضك عصر الخلافة الاموية بالأندلس وعصر ملوك الطوائف ، وينحو فيه

1 الإمام الأوحد ، البحر ، ذو الفنون والمعارف أبو محمد ، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد ، الفارسي الأصل ، ثم الأندلسي القرطبي اليزيدي مولى الأمير يزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي -رضي الله عنه- المعروف بيزيد الخير ، نائب أمير المؤمنين أبي حفص على دمشق ، الفقيه الحافظ ، المتكلم ، الأديب ، الوزير الظاهري ، صاحب التصانيف . فكان جده يزيد [ص: 185] مولى للأمير يزيد أخي معاوية . وكان جده خلف بن معدان هو أول من دخل الأندلس في صحابة ملك الأندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ؛ المعروف بالداخل ، ولد أبو محمد بقرطبة في سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ،
قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام -وكان أحد المجتهدين- : ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل " المحلى " لابن حزم ، وكتاب " المغني " للشيخ موفق الدين ، توفي عشية يوم الأحد لليلتين بقيتا من شعبان ، سنة ست وخمسين وأربعمائة فكان عمره إحدى وسبعين سنة وأشهرا ، رحمه الله . انظر (الذهبي ، المصدر السابق ،ج 18، ص200.

2 بن المستنصر صاحب الأندلس ، بايعوه صبيا ، فقام بتشييد الدولة الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر ، فكان من رجال الدهر رأيا وحزما ، ودهاء وشجاعة وإقداما - أعني الحاجب - فعمد أول تغلبه إلى خزائن كتب الحكم ، فأبرز ما فيها بمحضر من العلماء ، وأمر بإفراز ما فيها من تصانيف الأوائل والفلاسفة ، حاشا كتب الطب والحساب ، وأمر بإحراقها فأحرقت ، وطمر بعضها ، ففعل ذلك تحببا إلى العوام ، وتقبيحا لمذهب الحكم

3 صاحب الأندلس ، المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن الملك المعتضد بالله أبي عمرو ، عباد بن الظافر بالله أبي القاسم ، قاضي إشبيلية ، ثم ملكها ، محمد بن اسماعيل بن قريش اللخمي. قيل : هو من ذرية النعمان بن المنذر صاحب الحيرة . حكم المعتمد على المدينتين قرطبة وإشبيلية ، وأصلهم من الشام من بلد العريش ، فدخل أبو الوليد إسماعيل بن قريش إلى الأندلس ، ثم برع القاضي في الفقه ، وولي القضاء ، ثم تملك مدة ، وقام من بعده ابنه المعتضد ، فساس المملكة بإشبيلية ، وبايعوه بالملك في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، وكان شهما ، صارما ، داهية ، ذبح جماعة من أعوان أبيه ، وصادرهم ، وعلا شأنه ، ودانت له الأمم.

4 ولد ابن بسام في شنترين بعد سنة 460 هـ - 1087 م في أسرة غنية، فهو من بيت أصل وشرف، وثراء، وهذا ساعده عن عدم السعي في الأرض بحثًا عن الرزق بما ورثه من ثروة ومن ثم تفرغ لتحصيل العلم، يمكن أن نقف عند المحطات الرئيسية في حياة ابن بسام من خلال أقواله وأقوال من كتبوا عنه، فحياته في شنترين في أول الأمر كانت حياة كريمة، تغمرها النعمة والرخاء من كل جانب، ودليل ذلك قوله في مقدمة موسوعته الذخيرة: «وقد كنا غنينا هنالك بكرم الانتساب عن سوء الاكتساب، واجترأنا بمدخور العتاد عن التقلب في البلاد إلى أن نثر علينا الروم ذلك النظام»، وهذا الغنى أفسح له المجال لطلب العلم، فحفظ القرآن الكريم ودرس الفقه، والأدب، وتردد على مجالس العلم.

صاحبه منحى ادبي ، نقل عنه اكثر شعراء عصره المغاربة والاندلسيين وله ترجمة للشاعر الحصري القيرواني وابن زيدون المخزومي[1] الاندلسي وابن صارة الشنتريني.

معجم السفر للسلفي: صاحب هذا الكتاب هو أبو طاهر احمد بن محمد بن احمد بن محمد ابن إبراهيم سلفة[2] المتوفى سنة 573هـ- 1177 م ، مرتب على حروف المعجم ولابن خلكان استشهادات به في ترجمته لصلاح الدين الايوبي و والقابسي المغربي .

العلماء المغاربة الذين رحلوا الى المشرق ثم عادوا الى بلادهم

رحل كثير من علماء اهل المغرب الى بلاد المشرق طلبا للعلم ولقد حفلت كتب التراجم والسير بكثير من اخبار هؤلاء نذكر منهم جماعة:

-**أبوعبد الله محمد بن القاسم التميمي الفاسي** (ت 603هـ-1206م)[3]، أقام بالمشرق نحوا من عشرين سنة ، وحج بيت الله الحرام وزار مدينة رسول الله صل الله عليه وسلم والإسكندرية وبعض مدن الغرب الإسلامي كتونس وبجابة وطرابلس، لقي جماعة من العلماء قاربوا المائة ، جمع تراجمهم في كتاب له سماه (النجوم المشرقة في ذكر من أخذ عنه من كل ثيت وثقة).

أبو العباس احمد بن عمر الانصاري القرطبي فقيه المالكية ومحدثها بزمانه المعروف بابن مزين ولقبه ضياء الدين (ت 626هـ- 1228م) بمصر زار مدن عديدة ببلاد المشرق له تواليف متعددة ، غير مطبوعة وانتفع به خلق كثير وذاع صيته كان صاحب علم ودين.

عبد الله بن عبد الرحمان : نزيل بغداد رفقة اسرته ولي أمر التدريس بالمستنصرية وكان صاحب صوت جميل وخطيبا مفوها، فسمعه الامراء والمدرسين ، معترفين بفضله وعلمه

1 لصاحب، الوزير ، العلامة أبو الوليد ، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي ، القرشي ، الأندلسي ، القرطبي ، الشاعر ، حامل لواء الشعر في عصره ، قال ابن بسام كان غاية منثور ومنظوم ، وخاتمة شعراء بني مخزوم ، أحد من جر الأيام جرا ، وفاق الأنام طرا وصرف السلطان نفعا وضرا ، ووسع البيان نظما ونثرا ، إلى أدب ما للبحر تدفقه ، ولا للبدر تألقه ، وشعر ليس للسحر بيانه ، ولا للنجوم اقترانه.، توفي في رجب سنة ثلاث وستين وأربعمائة انظر(الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، الطبقة العشرون ، ج18 ،ص 240.

2 ولد الحافظ أبو طاهر في سنة خمس وسبعين أو قبلها بسنة، وهذا مطابق لما رواه أبو الحسن محمد بن أحمد القطيعي في " تاريخه " ، قال : سمعت الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بعد عوده من عند السلفي يقول : سألته عن مولده ، فقال : أنا أذكر قتل نظام الملك -يعني الوزير الذي وقف المدرسة النظامية ببغداد - وكان عمري نحو عشر سنين ؛ قتل سنة خمس وثمانين وأربعمائة ، وقد كتب عني بأصبهان أول سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ، وأنا ابن سبع عشرة سنة أو أكثر أو أقل بقليل ، مات سنة 573هـ – 1177م .

3 ابن حجر ، انباء الغمر بأبناء العمر ن تحقيق حسن حبشي ، دار الكتب القاهرة ،ج4، ص139.

إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي المطماطي: أبو إسحاق ، انتهى اليه امر التدريس والفتوى ببلاد المغرب ، يروي عن ابن كحلية نصر الدين المشدالي ، ثم انتقل لتونس وطلب العلم على يد بعض علمائها ، وبانتقاله لمصر والشام والحجاز أخذ علوما جمة عن الاصبهاني والقرافي والسيف الحنفي ، ليعود لتلمسان مستقرا بها وتوفي سنة 670هـ – 1270م له تصنيف ماتع بعنوان شرح التلقين في عشر مجلدات[1].

محمد بن أحمد بن إبراهيم التلمساني السوسي[2](ت 764هـ -1367م) له إجازة ومكاتبة عن شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية.

يحي بن احمد بن عبد السلام أبو زكرياء المغربي المالكي ،(ت 888هـ -1449م) سمع من علماء مكة كابي الفتح لمراغي وبالمدينة على الكازروني، وقرا شرح نخبة الفكر وغيره، وروى كتب صحيح البخاري ومسلم والشفا للقاضي عياض[3].

1 نجادي بوداعة ، اسهامات علماء المغرب الإسلامي في بلا المشرق على عهد الموحدين ، مجلة عصور الجديدة ، المجلد 10عدد مارس 2020/1441.

2 ابن الابار التكملة لكتاب الصلة تحقيق عبد السلام الهراس ،دار الفكر ، بيروت ،1995، ج 2، ص140.

3 لإمام العلامة الحافظ الأوحد ، شيخ الإسلام القاضي أبو الفضل [ص: 213] عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي ، ثم السبتي المالكي. ولد في سنة ست وسبعين وأربعمائة . تحول جدهم من الأندلس إلى فاس ، ثم سكن سبتة . لم يحمل القاضي العلم في الحداثة ، وأول شيء أخذ عن الحافظ أبي علي الغساني إجازة مجردة ، وكان يمكنه السماع منه ، فإنه لحق من حياته اثنين وعشرين عاما . رحل إلى الأندلس سنة بضع وخمسمائة ، وروى عن القاضي أبي علي بن سكرة الصدفي ، ولازمه ، وعن أبي بحر بن العاص ، ومحمد بن حمدين ، وأبي الحسين سراج الصغير ، وأبي محمد بن عتاب ، وهشام بن أحمد ، وعدة . وتفقه بأبي عبد الله محمد بن عيسى التميمي ، والقاضي محمد بن عبد الله المسيلي . واستبحر من العلوم ، وجمع وألف ، وسارت بتصانيفه الركبان ، واشتهر اسمه في الآفاق قال خلف بن بشكوال هو من أهل العلم والتفنن والذكاء والفهم ، استقضي بسبتة مدة طويلة حمدت سيرته فيها ، ثم نقل عنها إلى قضاء غرناطة ، فلم يطول بها ، وقدم علينا قرطبة ، فأخذنا عنه . قال خلف بن بشكوال هو من أهل العلم والتفنن والذكاء والفهم ، استقضي بسبتة مدة طويلة حمدت سيرته فيها ، ثم نقل عنها إلى قضاء غرناطة ، فلم يطول بها ، وقدم علينا قرطبة ، فأخذنا عنه .

-ابن مرزوق الجد [1] (ت 842هـ-1438م) هو محمد بن احمد بن محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني ، كان عالم بالفقه والأصول والحديث ، رحل الى الحجاز وتوفي بتلمسان

هذا سرد بسيط لبعض علماء المغرب الإسلامي الذين اخذوا العلوم في المشرق الإسلامي ثم قفلوا راجعين الى بلدهم لنشر العلم والجلوس للدعوى والافتاء والتدريس.

[1] هو شمس الدين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن مرزوق العجيسي، التلمساني، الشهير بالخطيب والجد والرئيس، وصفه أبو الحسن علي بن لسان الدين ابن الخطيب بأنه: «فخر المغرب، وبركة الدول، وعلم الأعلام، ومستخدم السيوف والأقلام، ومولى المغرب على الإطلاق، ولد ابن مرزوق الخطيب بتلمسان سنة (710هـ-1356م)، وجمع القرآن الكريم في صغره، وأخذ مبادئ العلوم من علماء بلده، ثمَّ رحل مع والده إلى الحجاز سنة (718هـ) ورجع سنة (723هـ)، وأخذ في رحلته الحجازية عن أعلام شيوخه نحو ألفي شيخ من أهل المغرب والمشرق جمعهم في برنامج، ولاه السلطان أبو الحسن المريني الخطابة بمسجد أبي مدين بالعباد، وحظي عنده فأعلى رتبته في مجلسه، ورافقه إلى الأندلس وحضر معه معركة طريف سنة (748هـ). هذا وقد استقرَّ مُدَّةً بغرناطة حيث ولي الخطابة بجامع الحمراء، بعدما كلَّفه أبو سعيد عثمان بن جرار في مهمة سُجِنَ على إثرها ومن أجلها أيامًا، ثمَّ عاد إلى تلمسان بدعوة أبي عنان المريني بعد القضاء على إمارة أبي سعيد وأبي ثابت، فألحقه بمجلسه سنة (754هـ)، ثمَّ أرسله في مهمة إلى تونس فلم يفلح في وفادته، وَوُشِيَ به إلى السلطان فسجنه مدة، وأُطْلِقَ سراحه قبل موت السلطان، وقد آثر الانتقال إلى تونس، فاستقرَّ بها سنة (766هـ)، فأكرم أبو إسحاق الحفصي مثواه، وأسند إليه الخطابة بجامع الموحدين، فأقام بها إلى عهد الأمير أبي العباس الحفصي سنة (٧٧٢هـ وفي ذلك الحين عزم ابن مرزوق على الالتحاق بالسلطان عبد العزيز المريني، فألَّف له كتابًا أسماه: «المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن»، غير أنه لم يُوَفَّقْ في ذلك فرحل إلى المشرق وحلَّ بالإسكندرية، ثمَّ قدم القاهرة واتصل بالسلطان الأشرف، فأكرمه وألحقه بمجلسه، وأسند إليه الوظائف العلمية وولاه قضاء المالكية، فأقام بالقاهرة معزَّزًا مكرَّمًا إلى أن توفي بها سنة (780هـ) ، ودُفن بمقبرة القرافة الصغرى بين ابن القاسم وأشهب ومن أشهر تلامذته: لسان الدين ابن الخطيب، وابن قنفذ، وأبو إسحاق الشاطبي وغيرهم، ولابن مرزوق مشاركات علمية في شتى الفنون تدريسًا وتأليفًا، فمن ذلك: «تيسير المرام في شرح عمدة الأحكام»، و«شرح الأحكام الصغرى» لعبد الحق الإشبيلي، و«إزالة الحاجب عن فروع ابن الحاجب»، و«شرح صحيح البخاري»، و«إيضاح المراشد فيما تشتمل عليه الخلافة من الحكم والفوائد» انظر (الموقع الرسمي للشيخ فركوس https://ferkous.com/home/?q=aalam-225.

ساهم العلماء المغاربة في تنوير المشرق الإسلامي ونشر حملة من العلوم والمعارف هناك ، وعرف العصر الوسيط تطورا علميا وفكريا كبيرا عند المغاربة، وقد برزت هذه الاسهامات في العلوم العقلية كما النقلية، ولقد ضرب العلماء العلماء المغاربة بسهم في علوم الطب والصيدلة والنبات وغيرها من الطبيعيات ، على الرغم من ان مساهمة المغاربة في هذه العلوم لم تكن بذلك الزخم الذي عرفته العلوم النقلية.

أدت الرحلات العلمية بين المشرق والمغرب الإسلاميين الى قيام تواصل علمي وفكري وحضاري، فأخذ المغاربة علوم المشارقة وكذلك فعل المشارقة ، وخير مثال على ذلك رحلات ابن الرومية عالم النبات الى العراق والشام، وكيف استطاع ، ان يؤسس لعلم النبات ببلاد المغرب نتيجة احتكاكه بالعلماء المشارقة والنهل من معارفهم وعلومهم المختلفة.

الصلات العلمية والثقافية بين علماء المغرب والمشرق كانت متواصلة ومستمرة، ولم تقف امامها الحدود السياسية والجغرافية، وكان علماء المسلمين أحرارا في رحلاتهم، يدرسون العلوم بمختلف حواضر العالم الإسلامي كدمشق والقدس والقاهرة وبعداد وبلاد الحجاز.

الخاتمـــــة

خاتمة:

من خلال دراستنا لموضوعنا هذا والموسوم بحركة التأليف المغربية في بلاد المشرق ومظاهر تأثيرها في الحياة العلمية، توصلنا الى جملة من النتائج والاستنتاجات نذكر منها:

أن العالم الإسلامي في العصر الوسيط كان يضم عدوتين شرقية وغربية (المغرب والمشرق) وكان لكل منهما مساهمة كبيرة في سطوع الحضارة العربية الإسلامية، وما الموروث العلمي والادبي والفكري الا نتيجة لهذا البروز والنشاط العلمي الغزير.

حفظ المغاربة الدين والعلوم واشتغلوا بها بنفس النهم والرغبة التي كانت عند المشارقة، وسبروا غوار الكتب واستخرجوا منها نفيس القلائد والفوائد العلمية، كما لازموا اهل العلم والمشايخ، وحرصوا على طلب العلم بالرحلة في سبيله، وارتياد المجالس العلمية وغيرها.

تميز علماء المغرب الإسلامي بأن كانت لهم اليد الطولى في عديد فنون العلوم، وبخاصة العلوم النقلية، التي هي خادمة للشريعة، وحاز المغاربة عى سبيل المثال لا الحصر أسمي وأرقى الدرجات العلمية وبخاصة في علم القراءات الذي كان المغاربة سادته وحملة لوائه.

حرص العلماء المغاربة على اقتناء المؤلفات والمصنفات المشرقية ونشرها بين طلبة العلم، ونشطت لأجل ذلك حركة النسخ، والتي من نتائجها ان أصبحت المكتبات تعج بالكتب والمصنفات العلمية ، احرص ما كان يحرص عليه المغاربة كتب العلم الشرعي كالفقه والحديث والتفسير وغيرها، ونبغ من اهل المغرب الجم الغفير من العلماء فقلدوا القاب الحافظ والمقرئ والفقيه والقاضي.....

شكلت بلاد الحجاز بما لها من ثقل روحي (بلاد الحرمين)، ولثقلها العلمي ، عامل جذب للعلماء وطلبة العلم المغاربة، لغرض الاستفادة وأسهم الكثير منهم في تنشيط الحركة العلمية هناك ، وفيهم من استقر به المقام هناك ، ونهل المغاربة الذين حلوا بارض الحجاز من علم ومعارف الحجازيين، والمجاورين هناك، فحصل التلاقح الفكري والمعرفي.

تولى الكثير من المغاربة ببلاد المشرق مهن القضاء والافتاء ببلاد الحرمين الشريفين، كالقاضي عبد اللطيف الفاسي وغيره، وانسحب الامر أيضا على مهن تعليم الصغار القرءان والفقه وغيره.

اشتغل الكثير من علماء المغرب بالتدريس بحواضر المشرق الإسلامي كدمشق وبيت المقدس والحجاز عبر إقامة حلقات العلم في المساجد، والتدريس بالمدارس والمؤسسات التعليمية، وقد درسوا مختلف العلوم وخاصة علوم الشريعة كالفقه والحديث والتفسير وغيرها، وفيهم من لازم الرباطات طالبا للخلوة وقراءة القرءان والجهاد في سبيل الله.

لم يكن تأثير العلماء المغاربة في العلوم العقلية كبيرا، إذا قارناه بمساهمتهم في العلوم النقلية ويرجع ذلك الى المزاج العام السائد في تلك الفترة والذي كانت تمثل فيه العلوم النقلية الغاية الأسمى، لارتباطها بعلوم الوحيين (الكتاب والسنة).

هذه الجهود العلمية لأسلافنا من علمائنا الاجلاء، تفرض علينا مضاعفة الجهد لخدمة العلم والدين، والحاجة لتوحيد جهود لمخلصين من العلماء والباحثين في مشاريع علمية رصينة تعرف بتاريخنا وتراثنا الحضاري الكبير.

الحاجة الماسة الى عمل أكاديمي جماعي، يؤصل لإسهامات المغاربة في العصر الوسيط ببلاد المشرق وذلك عبر وضع موسوعات علمية، فيها جرد وذكر لكل العلماء الذين مروا على بلاد المشرق وأثروا الحياة العلمية والفكرية بها.

الضرورة الملحة لجمع كل مؤلفات المغاربة ببلاد المشرق الإسلامي المكتوبة والمخطوطة، المحققة وغير المحققة، والموجودة بمحتلف الخزائن والمكتبات ببلاد المشرق، وتسهيل الوصول اليها من طرف الباحثين وطلبة العلم، وهذا العمل يجب ان ينبري له ثلة من الباحثين الجادين الغيورين على تراثنا المعرفي.

الملاحـــــــق



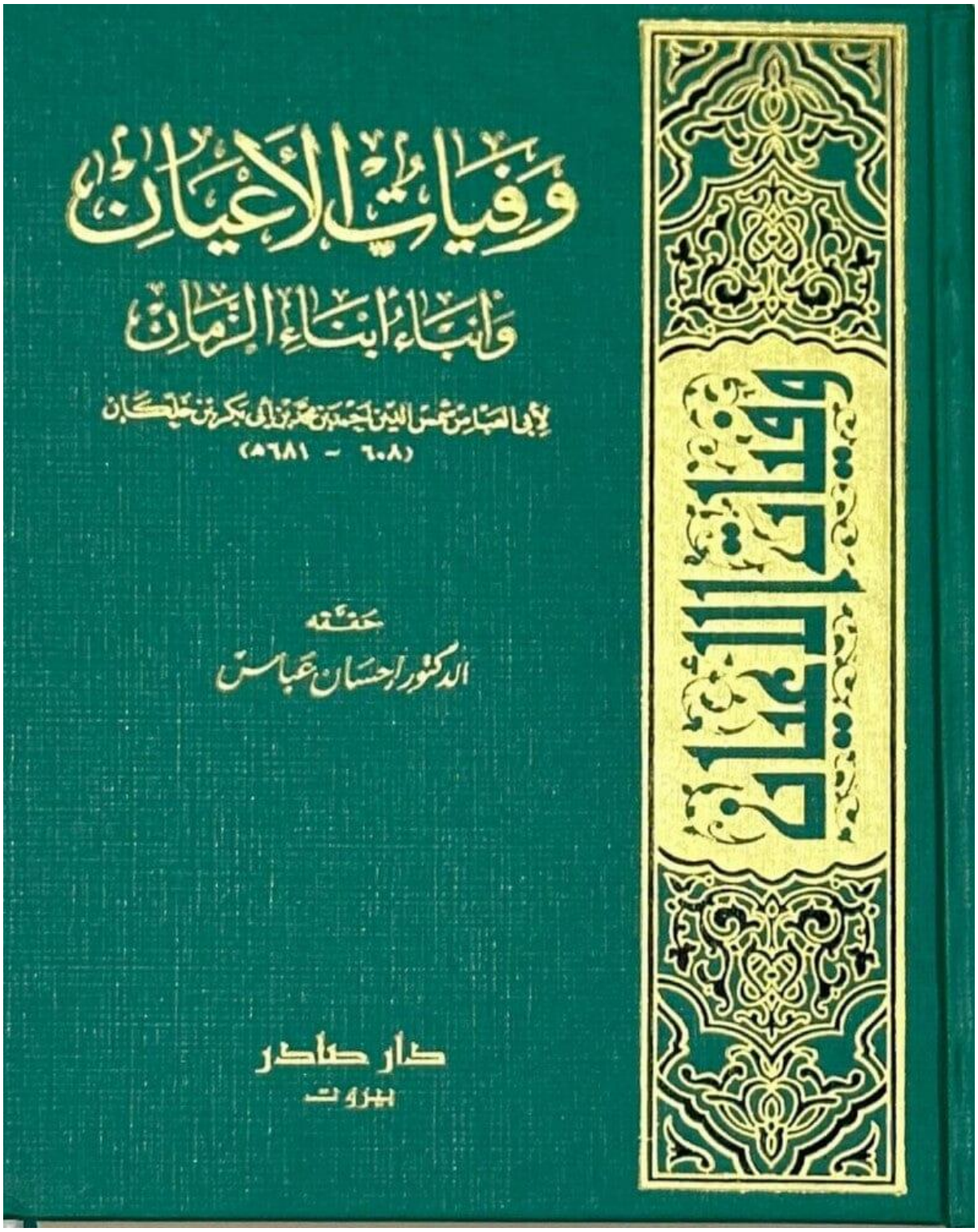
بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الثالث الهجري

الاصطخري، المصدر السابق، ص27

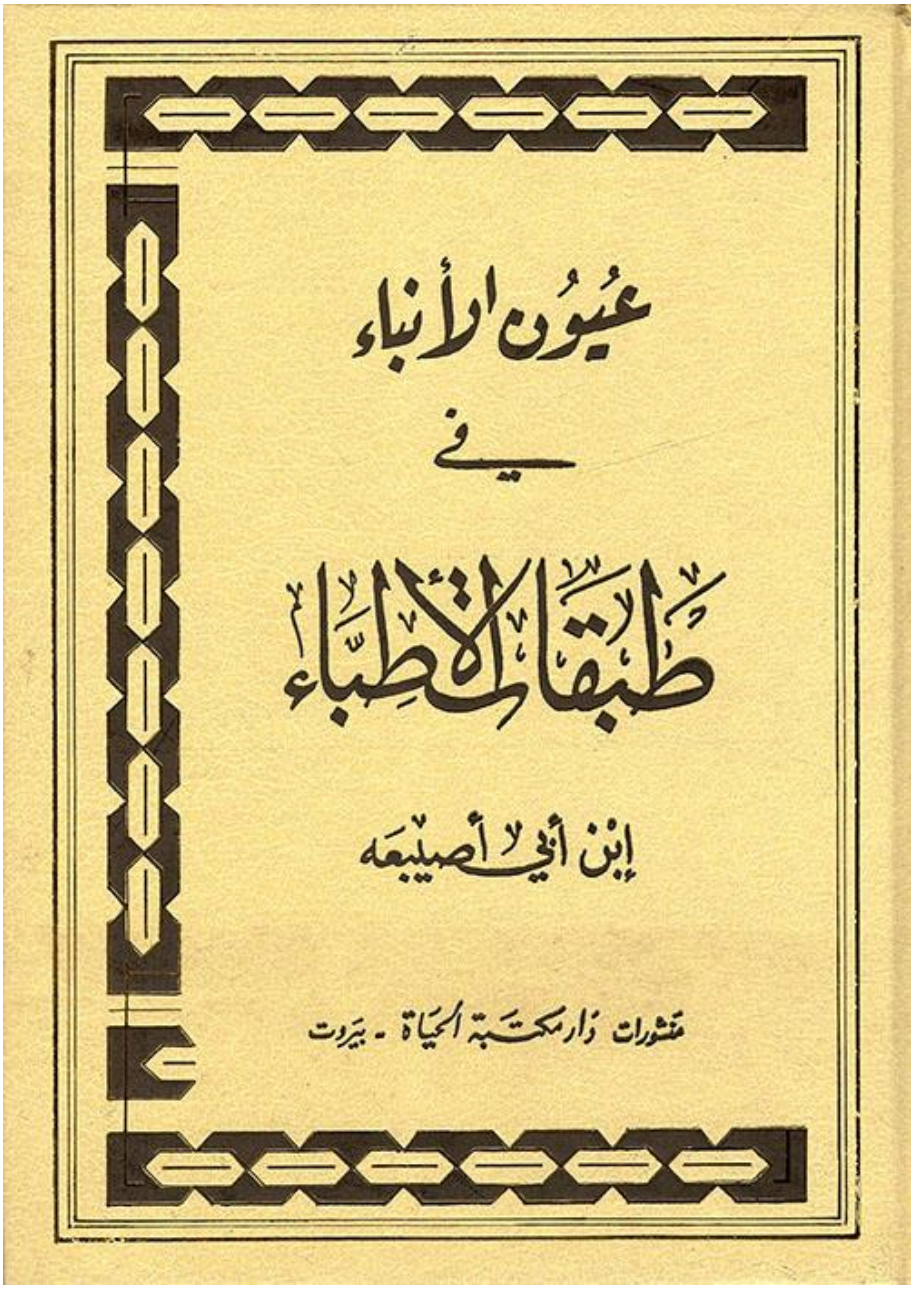


بلاد الشام والعراق وشبه الجزيرة العربية خلال القرن الرابع الهجري

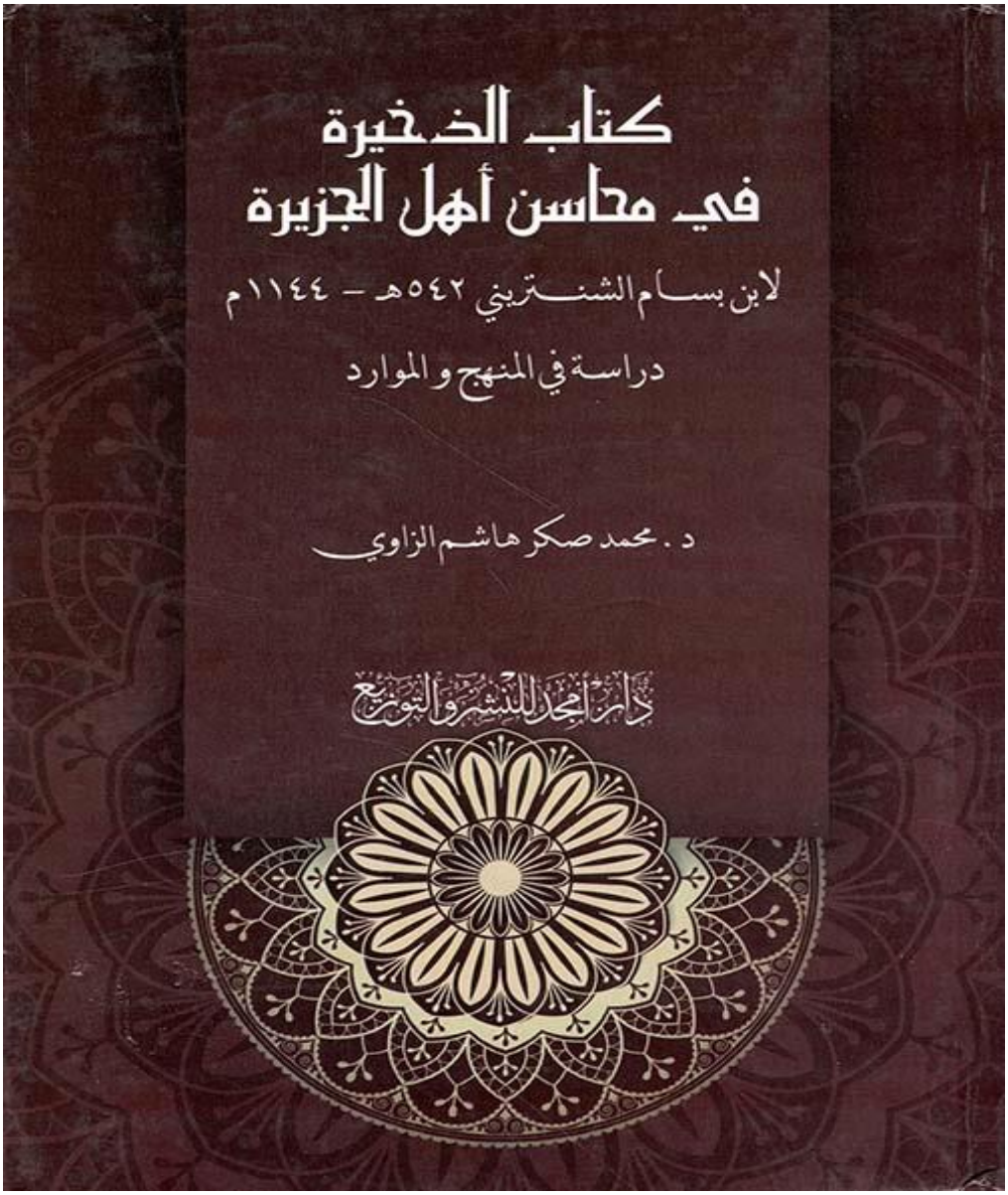
ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص 13



غلاف الصفحة الأولى من كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان



صفحة الغلاف لكتاب طبقات الأطباء لابن ابي اصبيبعة



غلاف الصفحة الأولى من كتاب الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة

1-المصادر:

- **القرءان الكريم برواية حفص.**

1) - الذهبي، شمس أبو عبد الله محمد ابن احمد التركماني الدمشقي (ت728ه) ، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهيروالاعلام** ،تح بشار عودة ،ط1،بيروت ،دار الغرب الإسلامي ،2003،

2) – ابن الأثير أبو الحسن علي بن محمد الشيباني، **الكامل في التاريخ**، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، المكتبة العلمية، بيروت

3) – ابن الجزري شمس الدين أبو الخير ، **غاية النهاية في طبقات القراء** ، مكتبة ابن تيمية ، نشره برجستر اسر سنتة 1351 ه.

4) –ابن الحاج، محمد العبدري الفاسي المالكي، (د.ت)، **المدخل**، مكتبة دار التراث، القاهرة.

5) – ابن الحمصي، أحمد بن محمد الأنصاري، (2000)، **حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران**، ط01، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

6) - الخشني، أبو عبد الله محمد بن الحارث القيرواني (ت364ه)، قضاة قرطبة وعلماء افريقية،ط2،القاهرة،مكتبة الخانجي 1994م.ا

7) - الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني (ت776ه).

8) - النديم ،أبو الفرج محمد ابن ابي يعقوب إسحاق الوراق ، الفهرست ،تح، رضا تجد، طهران 1981

9) ابن جلجل ، أبو داود سلمان بن حسان الأندلسي، طبقات الأطباء والحكماء ، القاهرة، 1955، ص68؛ الشيرزي، عبد الرحمن بن عبد الله، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، القاهرة، 1946، ص98-100

10) بن عذارى ،أبو العباس احمد بن محمد المراكشي، **البيان المغرب في أخبار ملوك الاندلس والمغرب**، تح كولان وبرو فنسال ،ط6،بيروت ،دار الثقافة ،1983

11) ابن العراقي، ولي الدين أبو زُرعة، (1989)، الذيل على العبر في خبر من غبر، ط01، مؤسسة الرسالة، بيروت.

12) أبو الفدا،عماد الدين بن إسماعيل(ت732ه)، تقويم البلدان، باريس،1840م،

13) أبي اصيبعه، عيون الإنباء، دار ومكتبة الهلال ، بيروت لبنان. 1980.

14) اعمال الاعلام، تحقيق حمد مختار عبادي إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء 1954

15)-**الاصطخري، المسالك والممالك ، دارصادر، بيروت ، 1980.**

16)-البغدادي ،عبد القاهر بن طاهر بن محمد(ت429ه)، **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منها** ، تح ،محمد عثمان الخشت ، مكتبة ابن سينا القاهرة ،1988.

17)–ابن الجزري، شمس الدين أبو عبد الله محمد القرشي، (1998)، **تاريخ حوادث الزمان و أنبائه ووفيات الأكابروالأعيان من أبنائه**، ط01، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

18) البرزالي، علم الدين القاسم بن محمد، (2005)، الوفيات، ط01، غراس للنشر والتوزيع، الكويت.

19) البصروي، علي بن يوسف، (1408ه)، **تاريخ البصروي**، ط01، دار المأمون للتراث، دمشق.

20) البغدادي ، ابوبكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب، **تاريخ بغداد وذيوله** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، دراسة وتحقيق ، مصطفى عطا ،1417ه.

21) البقاعي، إبراهيم بن حسن، (د.ت)، **مصرع التصوف**، الناشر عباس أحمد الباز، مكة المكرمة.1422ه

22) ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف(ت 874ه)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، القاهرة، 1972.

23) التنبكتي، أحمد بابا بن احمد، (2000)، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، دار الكاتب، ليبيا. 1980.

24) جبير ، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، **رحلة ابن جبير**،دار ومكتبة الهلال ، بيروت .

25) حجر، أحمد بن علي العسقلاني، (1972)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند.

26) الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي ، **معجم البلدان** ، ط 2، دار صادر بيروت ، 1995

27) حوقل، أبو القاسم محمد بن علي(ت 367ه)، صورة الأرض، بيروت،د.ت

28) خلدون ،أبو زيد عبد الله ابن محمدالحضرمي (808ه)، العبر وديوان المبتدا والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ،ج6 بيروت ندار الفكر ،2000م،

29) ابن خلدون ،أبو زيد عبد الله ابن محمدالحضرمي (808ه)، **المقدمة** ،بيروت ،دار الفكر ،2001م

30) ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم البرمكي الاربيلي ، وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، ط 1، دار صادر –بيروت

31) دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي، (د.ت.ط)، **الانتصار لواسطة عقد الأمصار**، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.

32) الذهبي، شمس أبو عبد الله محمد ابن احمد التركماني الدمشقي (ت728هـ)، **سير أعلام النبلاء** ، تحقيق مجموعة مؤلفين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ،ط 2، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1985.

33) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد،)1987(، **تاريخ الإسلام**، دار الكتاب العربي، بيروت.

34) رافع، تقي الدين محمد بن هجرس السلامي، (1402هـ)، الوفيات، ط01، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1402هـ.

35) الزواوي، أبو يعلى، (2005)، **تاريخ الزواوة**، ط01، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر. 1980

36) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، (د.ت)، **الذيل على رفع الإصر أو بغية العلماء والرواة**، تحقيق: د. جودة هلال وآخرون.

37) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، (د.ت)، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.1972

38) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر،)1967(، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، ط01، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر.

39) شاهين، زين الدين عبد الباسط الحنفيّ، (2002)، نيل الأمل في ذيل الدول، ط01، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت.

40) الشوكاني، محمد بن علي، (1990)، **الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد**، دار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع، اليمن. 1990.

41) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، (1998)، **أعيان العصر وأعوان النصر**، ط01، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق.

42) عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن ، **تاريخ دمشق** ، ت عمرو بن غرامة العمروري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،1995.

43) العليمي، مجير الدين عبد الرحمن بن محمد، (1999)، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، مكتبة دنديس، الأردن.

44) الغزي، نجم الدين محمد بن محمد، (1997)، **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة**، ط01 ، دار الكتب العلمية، بيروت.1986.

45) فرحون، إبراهيم بن علي اليعمري،)د.ت)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

46) قاضي شهبة، تقي الدين أبو بكر الأسدي، 1994، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، طباعة مشتركة بين المعهد الفرنسي للدراسات العربية والجفان والجابي للطباعة والنشر، دمشق وقبرص.

47) القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس، (1994)، **الذخيرة**، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

48) القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس، (1998)، الفروق أو انوار البروق في أنوار الفروق، ط01، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت.

49) القلقشندي، أحمد بن علي،)1987(، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، دار الفكر، دمشق.

50) كثير، أبو الفدا إسماعيل الدمشقي(ت774هـ)، **البداية والنهاية**، خرّج أحاديثه محمد بيومي وآخرون، مكتبة الإيمان، المنصورة، د.ت.

51) كثير، أبو الفداء القرشي الدمشقي، (1988)، **البداية والنهاية**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

52) ابن كيكلدي، خليل صلاح الدين الدمشقي، (2004)، **إثارة الفوائد المجموعة في الإشارة إلى الفرائد المسموعة**، ط01، مكتبة العلوم والحكم للنشر والتوزيع، المدينة المنورة.

53) مخلوف، محمد بن محمد التونسي، (2003)، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الكتب العلمية، لبنان

54) الوزان ،الحسن بن محمد(ت1554م)، **وصف افريقيا** ،تر محمد حاجي ومحمد الأخضر ،ط2بيروت ،دار الغرب الاسلامي1983م

المـــــــــــراجع :

1 - باشا، عمر موسى، **الأدب في بلاد الشام(عصر الزنكيين والأيوبيين والمماليك)**، ط2، دمشق، 1982

10- مؤنس حسين ، **تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر** دار صادر ،القاهرة ،1992م

11- العبادي احمد مختار ،**في التاريخ العباسي والفاطمي** ،بيروت ،دار النهضة العربية .1986.

13- الألوسي محمود شكري ، **مساجد بغداد و أثارها**، تحقيق محمد بهجة البيطارالأثري، مطبعة دار السلام بغداد ،1990.

14- لقبال موســـى ، **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية** ،الجزائر ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1971م .

17-الدشراوي فرحات، **الخلافة الفاطمية بالمغرب** ،تح الحامدي الساحلي ،ط1،بيروت ندار الغرب الإسلامي ،1994م.ن

18- خليفة حاجي ، **كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون** ، دار احياء التراث العربي ، 1941م.

19- شبارو عصام محمد عصام ، **السلاطين في المشرق العربي** – السلاجقة – دار النهضة العربية ، بيروت

20- عادل نويهض ، **معجم اعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر** ، الطبعة الثانية 2005

21- شلبي احمد **تاريخ التربية الإسلامية** ، ط 4، القاهرة ، 1972.

22 – حوالة يوسف بن احمد ، **الحياة العلمية في افريقيا منذ الفتح وحتى منتصف القرن الخامس** الهجري ، رسالة دكتوراة ، ط1،جامعة ام القرى ، مكة المكرمة ، 2000م.

23-زيادة، نيقولا، **جغرافية الشام عند جغرافي القرن الرابع الهجري**، المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام، الأردن، 1974.

24-جاسر العناني ، **فتح صلاح الدين الأيوبي لبيت المقدس بين السياسة والحرب** (الطبعة الأولى)، عمّان: أمواج للنشر والتوزيع

25-السامرائي، خليل إبراهيم، **دراسات في تاريخ الفكر العربي**، جامعة الموصل، 1983.

2-عاشور، سعيد عبد الفتاح، **المجتمع المصري في عصر السلاطين المماليك**، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1962م

3- العبادي احمد مختار ،**في التاريخ العباسي والفاطمي** ،بيروت ،دار النهضة العربية .

5- القطان ، مناع خليل، **مباحث في علوم القران** ،دار ابن بابطين ،الرياض، 1987م

6- السامرائي، خليل إبراهيم، **دراسات في تاريخ الفكر العربي**، جامعة الموصل، 1983

7- بونار رابح ، **المغرب العربي تاريخه وثقافته** ،ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

8- بداوي جمال ،الدولة الفاطمية دولة تفاريح وتباريح،ط1،دار الشروق ،القاهرة ،2004م

9- حسن إبراهيم ،تاريخ الدولة الفاطمية ،ط2،القاهرة ،1908م

الرســـــائل والاطروحات:

حوالة يوسف بن احمد ، **الحياة العلمية في افريقيا منذ الفتح وحنى منتصف القرن الخامس الهجري** ، رسالة دكتوراة ، ط1،جامعة ام القرى ، مكة المكرمة ، 2000م.

-رافعي نشيدة،**الحياة الفكرية والثقافية في المغرب في العصر الفاطمي (296-362ه)**، رسالة دكتوراة دولة المغرب الإسلامي الوسيط اشراف الدكتور إبراهيم فخار ،جامعة الجزائر ،السنة الدراسية 2003م

الدوريات والمجـــــلات :

1- ذكرى الجد ،**حضورعلماء المغرب الإسلامي بالحجاز،مجلة النوزل الفقهية والقانونية** ن المجلد السابع،العدد 02،السنة 2023.

2- نشيدة رافعي ، **علاقة المذهب الشيعي الإسماعيلي بالمذاهب الإسلامي الأخرى في العصر الفاطمي** (296-362ه)مجلة مجلة البحوث والدراسات التاريخية العدد 3

3- محمد حامد زينب، **الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، دراسة حول المجال الجغرافي ، العنصر** البشري ..... المجلة التاريخية الجزائرية ،مجلد 4 ، عدد 1 سنة 2020.

4- نجادي بوداعة ، **اسهامات علماء المغرب الإسلامي في بلاد المشرق على عهد الموحدين** ، مجلة عصور ، المجلد 10، العدد مارس 2020م.

الفهرس

شكر و عرفان.....

إهـــــداء.....

المقدمة.....

المبحث الأول. المجال الجغرافي للمغرب والمشرق وعوامل التواصل العلمي..... 06

1. **الإطار الجغرافي لبلاد المغرب الإسلام..... 06**
2. **اختلاف الجغرافيين في تحديد الإطار الجغرافي لبلاد المغرب..... 07**
3. **كيف تشكلت التركيبة البشرية والسكانية البشرية بالمغرب الإسلامي..... 08**
4. **المجال الجغرافي للمشرق الإسلامي..... 09**
5. **علماء المغرب الإسلامي وعوامل انتقالهم الى حواضر المشرق الإسلامي. .. 15**

المبحث الثاني علماء المغرب الإسلامي واسهاماتهم في العلوم النقلية .....

1. **جهود العلماء المغاربة في علم القراءات بالمشرق..... 28**
2. **علم الحديث واسهامات المغاربة فيه بالمشرق..... 30**
3. **علماء اللغة المغاربة و أثارهم العلمية بالمشرق..... 33**
4. **المناصب العلمية لعلماء المغرب الإسلامي بالمشرق..... 36**
5. **الحضور المغاربي في المشرق على المستوى الاجتماعي 40**

المبحث الثالث اسهامات المغاربة في العلوم النقلية وكيف استفاد منها المشارقة

1. **دور الأطباء المغاربة بالمشرق ومؤلفاتهم 45**
2. **علم الصيدلة والنباتات ببلاد المغرب و اثرها بالمشرق..... 50**
3. **علم الفر ائض والحساب..... 53**
4. **الكتب المصدرية المغربية في كتابات المشارقة..... 54**

الخاتمة..... 26

الملاحـــق..... 65

قائمة المصادر و المراجع..... 70